فاطمة الزهراء
مشكاة الأنوار

السيد عادل العلوي

العلوي، السيّد عادل، ١٩٥٥ ــ م.
رسالة فاطمة الزهراء عليها السلام مشكاة الأنوار / تأليف السيّد عادل العلوي. ــ قم : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢٣ ق. = ١٣٨١.
٩٦ ص. ــ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 80 - 5 ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره ١٠٠ جلدى)
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربى.
كتابنامه : به صورت زيرنويس.
١. فاطمة زهراء (س)، ٨؟ قبل از هجرت ـ ١١ ق. ــ فضايل. ٢. فاطمة زهراء (س)، ٨؟ قبل از هجرت ـ ١١ ق. ــ فضايل ــ احاديث. الف. عنوان.
BP ٢٧ / ٢ / ٨٣ر ٥ ٢٩٧ / ٩٧٣
كتابخانهٔ ملى ايران ٤٥٤٦٧ ــ ٨١م

موسوعة

رسالات إسلامية

رسالة
فاطمة الزهراء عليها السلام مشكاة الأنوار
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هجري قمري
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٥ ـ ٨٠ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 5915 - 80 - 5
اى.اى.ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٨٠١ EAN 9789645915801
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

فاطمة الزهراء مشكاة الأنوار[1]

ليلة القدر الأُولى

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمّد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى قيام يوم الدين.

اللهمّ ألهمني التقوى وأنطقني بالهدى وجنّبني الردىٰ، وبارك لنا في ليلتنا هذه أُولى ليالي القدر.

وما أعظم ليلة القدر عند الله وعند رسله وأوليائه وعباده الصالحين، فإنّها خير من ألف شهرٍ ليس فيه ليلة القدر، وإنّها كانت ولا تزال منذ أن خلق الله السماوات والأرض، فإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً:

---

(١) محاضرات ليالي القدر سنة ١٤٢٢، في مسجد الإمام الرضا عليه السلام موكب النجف الأشرف بقم المقدّسة.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾[1].

وغرّة الشهور شهر رمضان المبارك:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ ﴾[2].

وإنّما كانت ليلة القدر منذ اليوم الأوّل، لأنّ الله في عرشه الملكي والعلمي والتدبيري يدبّر شؤون خلقه، ويقضي ويقدّر، فإنّه ينزّل كلّ شيء بقدر وتقدير وقضاء وتدبير، ويعرض هذا التقدير على حجّته في خلقه، فإنّه الإنسان الكامل وأكبر حجج الله، وإنّه خليفته وسفيره في أرضه، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، ولساخت السماوات بأهلها، لارتباط الكون بعضه مع بعض، فهو متكثّر في وحدة، ومتوحّد في كثرة، فهناك ارتباط تكويني وتشريعي بين ليلة القدر وبين حجّة الله، والحجّة متمثّلة اليوم بصاحب العصر والزمان والمكان عجّل الله فرجه الشريف، فالأُمور التي تحكم في هذه الليلة ويفرق كلّ أمر حكيم، تنزل عليه بالملائكة والروح وهو ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل عليهما السلام والملائكة أعوانه وجنده.

ويكفيك في عظمة ليلة القدر نزول القرآن فيه، ذلك الكتاب المهيمن على الكتب كلّها، ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه هدىً للمتّقين، وفرقان للناس، ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل مطلقاً لا من بين يديه ولا من خلفه، الذي جمع فيه

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) البقرة: ١٨٥.

خير الدنيا والآخرة وعلوم الأوّلين والآخرين، فليلة القدر من أعظم الليالي وأشرفها عند الله، وقد أخفاها لنفاستها بين ليالي السنة، ولا سيّما بين هذه الليالي الثلاث من شهر رمضان أي ليلة التاسع عشر والواحد والعشرين والثالث والعشرين، ودرك هذه الليلة بالإحياء والدعاء والعبادة والتوجّه إلى الله سبحانه والبكاء والتوسّل بأولياء الله وأصفيائه وعباده المخلصين.

وما أكثر الآيات والروايات الشريفة في فضل ليلة القدر، وما أكثر الدعاء في دركها ونيلها، ففي كلّ يوم يدعو الصائم ربّه أن يرزقه درك ليلة القدر على أفضل حال يحبّه الله لخاصّة أوليائه.

أذكر لكم شاهداً من الدعاء الذي يقرأ في كلّ يوم من شهر رمضان المبارك ومنه يعلم ماذا يريد الإنسان في هذه الليلة المباركة:

«اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد واجعل دعائي فيه إليك واصلاً ورحمتك وخيرك إليَّ فيه نازلاً، وعملي فيه مقبولاً، وسعيي فيه مشكوراً، وذنبي فيه مغفوراً، حتّى يكون نصيبي فيه الأكثر الأكبر، وحظّي فيه الأوفر.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، ووفّقني فيه لليلة القدر على أفضل حال تحبّ أن يكون عليها أحدٌ من أوليائك وأرضاها لك، ثمّ اجعلها لي خيراً من ألف شهر، وارزقني فيها أفضل ما رزقت أحداً ممّن بلّغته إيّاها وأكرمته بها، واجعلني فيها من عتقائك من جهنّم وطلقائك من النار وسعداء خلقك بمغفرتك ورضوانك يا أرحم الراحمين».

وفي موضع آخر:

«اللهمّ لك الأسماء الحسنى والأمثال العليا والكبرياء والآلاء، أسألك

باسمك بسم الله الرحمن الرحيم إن كنت قضيت في هذه الليلة تنزّل الملائكة والروح فيها أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تجعل اسمي في السعداء وروحي مع الشهداء وإحساني في علّيّين وإساءتي مغفورة، وأن تهب لي يقيناً تباشر به قلبي، وإيماناً لا يشوبه شكّ، ورضىً بما قسمت لي، وآتني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقِني عذاب النار، وإن لم تكن قضيت في هذه الليلة تنزل الملائكة والروح فيها فأخّرني إلى ذلك، وارزقني فيها ذكرك، وشكرك وطاعتك وحُسن عبادتك، وصلِّ على محمّد وآل محمّد بأفضل صلواتك يا أرحم الراحمين».

ثمّ ليالي القدر الثلاث لها علاقة خاصّة بمظلوميّة سيّد المظلومين أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين أسد الله الغالب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث الليلة الأُولى ليلة الضربة، أي ليلة يفلق في سحرها هامة أمير المؤمنين بسيف ابن ملجم المرادي المجوسي اليهودي الملعون، ثمّ في ليلة الواحد والعشرين ليلة الشهادة، والثالث والعشرين ليلة الثالث للإمام عليه السلام.

ولمّا كانت ليلة القدر ليلة الدعاء وتلبية دعوة الله كما هي ليلة أمير المؤمنين وكان عليّ عليه السلام رجلاً دعّاء، فسيكون حديثي في هذه الليلة حول موضوعين: الأوّل عن أمير المؤمنين، وهو بحث عقائدي، والثاني عن الدعاء، وهو بحث أخلاقي.

أمّا الأوّل: فلا يمكن لنا أن نعرف أمير المؤمنين حقّ المعرفة، إذ ما عرفه إلّا الله ورسوله كما ورد، وإنّما نعرفه من خلال ما ورد في حقّه ومقامه الشامخ من القرآن الكريم حيث نزل ثلثه في عليّ عليه السلام، ومن خلال النصوص النبويّة

والأحاديث الشريفة، وكلّ ما عرفناه فهو معشار العشر أي واحد بالمائة كما ورد: «نزّلونا عن الربوبيّة وقولوا فينا ما شئتم، ولن تبلغوا، وما تقولونه إنّما هو معشار عشر».

والمعرفة تارةً جلاليّة وأُخرى جماليّة وثالثة كماليّة. والأُولى عامّة، والثانية خاصّة، والثالثة أخصّ.

فالأُولى يعرف بها جلالة الشيء وعظمته في الظاهر، والثانية جماله وباطنه، والثالثة حقيقته وكنهه.

وهذه الليلة إنّما نقصد طرق باب من أبواب جمال أمير المؤمنين في كونه جامعاً لصفات الأنبياء وكمالاتهم.

ونقول مقدّمةً: إنّ لله أسماء وقد ورد في الحديث الشريف أنّ له أربعة آلاف اسماً، ألف اختصّ به نفسه وهو من الاسم المستأثر لا يعلمه إلّا هو، وألف اختصّ به نبيّه وحبيبه خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله، وألف اختصّ به أنبياؤه، وألف علّمها الناس كما ورد في دعاء جوشن الكبير.

وهذه الأسماء الحسنى وهي ٩٩ اسماً ورد في القرآن الكريم وصفاته العليا، وهي بقيّة الأسماء، لها مظاهر في خلق الله، فإنّ الله العالم القادر الحيّ يتجلّى علمه وقدرته وحياته في خلقه، وكذلك الأسماء والصفات الأُخرى، وأشرف الخلق الإنسان، وأشرف الناس الأنبياء. فهم خلفاء الله وسفرائه في الأرض ثمّ الأوصياء ثمّ الأولياء ثمّ العلماء ورثة الأنبياء، فهؤلاء يحملون أسماء الله وصفاته فتجلّى العلم الإلهي يكون في العالم الربّاني، ولهذا ورد «من وقّر عالماً فقد وقّر ربّه». فالأنبياء مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، إلّا أنّ

خاتمهم جمع كلّ الأسماء والصفات، فهو الإنسان الكامل جامع الجمع وإنّ حقيقته المحمّديّة سارية في الأنبياء والمرسلين وفي الأوصياء والأولياء، ثمّ تمثّلت وتمثّل هذا الجمع مرّة أُخرى في نفس رسول الله وحامل علمه وصفاته إلّا النبوّة ونزول الوحي، ألا وهو أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فعليّ عليه السلام سرّ الله وسرّ رسوله وسرّ الأنبياء قاطبةً، وكان مع النبيّ جهراً ومع الأنبياء سرّاً، وما قُبل نبوّة نبيّ إلّا بولاية عليّ عليه السلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أُسري بي في ليلة المعراج واجتمع عليَّ الأنبياء في السماء، فأوحى الله تعالى إليَّ: سلهم يا محمّد بماذا بُعثتم؟ فقالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلّا الله وحده، وعلى الإقرار بنبوّتك والولاية لعليّ عليه السلام[1].

وعن أبي ذرّ قال: كنت جالساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله ذات يوم في منزل أُمّ سلمة ورسول الله صلى الله عليه وآله يحدّثني وأنا أسمع إذ دخل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأشرق وجهه نوراً فرحاً بأخيه وابن عمّه، ثمّ ضمّه إليه وقبّل بين عينيه، ثمّ التفت إليَّ فقال: يا أبا ذرّ، أتعرف هذا الداخل علينا حقّ معرفته؟ قال أبو ذرّ: فقلت: يا رسول الله، هذا أخوك وابن عمّك وزوج فاطمة البتول وأبو الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا ذرّ، هذا الإمام الأزهر، ورمح الله الأطول، وباب الله الأكبر، فمن أراد الله فليدخل من هذا الباب. يا أبا ذرّ، هذا القائم بقسط الله والذابّ عن حريم الله، والناصر لدين الله،

(١) ينابيع المودّة ٢ : ٦٢.

وحجّة الله على خلقه، إنّ الله تعالى لم يزل يحتجّ به على خلقه في الأُمم كلّ أُمّةٍ يبعث فيها نبيّاً[1].

عن أبي الحسن عليه السلام قال: ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله نبيّاً إلّا بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وولاية وصيّه عليّ عليه السلام.

عن محمّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيّين على ولاية عليّ وأخذ عهد النبيّين بولاية عليّ.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال: ما نبّئ نبيّ، ولا من رسول أُرسل، إلّا بولايتنا وبفضلنا على من سوانا.

وأمّا أنّه يجمع صفات الأنبياء فإليك نبذة من الأحاديث الشريفة في هذا المضمار:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى في زهده، وإلى موسى في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب[2].

وعن الثمالي، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم إلى عليّ عليه السلام قد أقبل وحوله جماعة من أصحابه، فقال: من أحبّ أن ينظر إلى يوسف في جماله، وإلى إبراهيم في سخائه، وإلى سليمان في بهجته، وإلى

(١) غاية المرام: ٦٠٨، البحار ٤٠ : ٥٥.

(٢) المناقب لابن المغازلي: ٢١٢، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ٢ : ٢٨٠، شواهد التنزيل ١ : ٧٨.

داود في حكمته، فلينظر إلى هذا[١].

عن الحارث الأعور صاحب راية عليّ عليه السلام قال: بلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان في جمع من أصحابه فقال: أُريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وإبراهيم في حكمته، فلم يكن بأسرع من أن طلع عليّ عليه السلام فقال أبو بكر: يا رسول الله، أقست رجلاً بثلاثة من الرسل؟ بخٍ بخٍ لهذا الرجل، من هو يا رسول الله؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ألا تعرفه يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أبو الحسن عليّ بن أبي طالب. قال أبو بكر: بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن، وأين مثلك يا أبا الحسن؟[٢].

عن أبي ذرّ الغفاري قال: بينما ذات يوم من الأيام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قام وركع وسجد شكراً لله تعالى ثمّ قال: يا جندب، من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سياحته، وإلى أيّوب في صبره وبلائه، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل الذي هو كالشمس والقمر الساري والكوكب الدرّي، أشجع الناس قلباً وأسخى الناس كفّاً، فعلى مبغضه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، قال: فالتفت الناس ينظرون من هذا المقبل فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام[٣].

وحياة أمير المؤمنين وسيرته المباركة النبويّة والعلويّة تشهد على تلك

(١) أمالي الصدوق: ٣٩١.

(٢) كشف الغمّة: ٣٣، الروضة: ١٧، الفضائل: ١٠٢.

(٣) الروضة: ٣ ـ ٤.

الصفات الإلهيّة والنبويّة كما يحدّثنا التاريخ تفصيل ذلك.

وأمّا الموضوع الثاني: فإنّ الدعاء بمعنى الانقطاع إلى الله سبحانه، والإقبال عليه، والاشتداد والارتباط به، وإنّه مخّ العبادة وروحها، ولا يهلك مع الدعاء أحد، والعبادة غاية الخلق وبمعنى تعبيد الطريق إلى الله سبحانه ويتمثّل الانقطاع بالطلب من الله في كلّ شيء حتّى ملح الزاد، وإصلاح شسع النعل، وكلّما اضطرّ الإنسان وألحّ في الدعاء اقترب من الله ومن إجابته:

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾[١].

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٢].

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ ﴾[٣].

وإنّ الله يحبّ دعاء عبده المؤمن ويؤخّر إجابته ليسمع صوته: «عن العالم عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ ليؤخّر إجابة المؤمن شوقاً إلى دعائه ويقول: صوتٌ أُحبّ أن أسمعه، ويعجّل دعاء المنافق ويقول: صوت أكرهه»[٤].

عن أمير المؤمنين عليه السلام: أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ في الأرض الدعاء.

(١) النمل: ٦٢.

(٢) المؤمن: ٦٠.

(٣) الفرقان: ٧٧.

(٤) بحار الأنوار ٩٧: ٢٩٦.

والدعاء على كلّ حال محفوف بالتوفيق والاستجابة إمّا عاجلاً وإمّا آجلاً كما ورد في الأحاديث الشريفة.

وللدعاء آداب وشروط كمعرفة الله وحسن الظنّ به واليقين بالاستجابة والاضطرار إليه والإخلاص والدخول من الأبواب التي أمر الله تعالى بها، وإقبال القلب إلى الله، والخضوع وترقيق القلب ورفع اليدين إلى السماء، والبسملة والتمجيد والاستغفار، والصلاة على محمّد وآله قبل الدعاء وبعده، والوفاء بعهد الله، واقتران الدعاء بالعمل والدعاء ضمن السنن الإلهيّة والاجتماع للدعاء وطلب التأمين من المؤمنين والترسّل في الدعاء بالطلب والإلحاح والتضرّع في الطلب ودعوة الله بأسمائه الحسنى والإلحاح:

«إنّ الله يحبّ الملحّين في الدعاء».

«إنّ الله يحبّ السائل اللحوح، ومتى تكثر قرع الباب يفتح لك».

عن الصادق عليه السلام: الدعاء يردّ القضاء بعدما أُبرم إبراماً، فأكثر من الدعاء فإنّه مفتاح كلّ رحمة ونجاح كلّ حاجة، ولا ينال ما عند الله عزّ وجلّ إلّا بالدعاء وإنّه ليس باب يكثر قرعه إلّا أوشك أن يفتح لصاحبه[1].

وعن الباقر عليه السلام: إنّ الله كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة، وأحبّ ذلك لنفسه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: فالحح عليه في المسألة يفتح لك أبواب الرحمة.

(١) الوسائل ٤: ١٠٨٦.

ومن الآداب والشروط: الدعاء للآخرين ومع الآخرين، والدعاء عند نزول الرحمة والدعاء في جوف الليل، والمسح على الوجه والرأس بعد الدعاء.

والدعاء هو القرآن الصاعد في القوس الصعودي، والقرآن الكريم هو القرآن النازل في القوس النزولي، والقرآن النازل دعوة الحقّ وربّ العالمين للعباد إلى التوحيد والعبادة وإنكار الطغاة، فدعوة من الحقّ إلى الخلق، والدعاء تلبية لتلك الدعوة، وإنّها من الخلق إلى الحقّ.

وهناك عوائق وعقبات تمنع وتحبس الدعاء من الاستجابة ومن الصعود إلى الله سبحانه، ومن أهمّها الذنوب والمعاصي والآثام والفواحش، ما ظهر منها وما بطن.

«اللهمّ اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء».

«فأسألك بعزّتك أن لا يحجب عنك دعائي سوء عملي وفعالي».

وللذنوب في حياة الإنسان دوران:

الأوّل: الحجب عن الله فلا يتمكّن المذنب من الإقبال عليه ما لم يتوب ويرجع إلى ربّه.

والثاني: الحجب عن الدعاء من الصعود إلى الله سبحانه، فإنّ الدعاء إذا وصل إليه استجيب على كلّ حال، لكمال العلم والقدرة والسخاء في المدعو منه، وهو الله سبحانه.

ثمّ للإنسان جوارح وجوانح، والأوّل ظواهره، والثاني ما وراءها من البواطن، فقلبه الجارحة تضخّ الدم في الأخذ والعطاء، وكذلك قلبه الجانحة تربط

الإنسان بالله، وله الأخذ من الله والعطاء على الجوارح والجوانح الأُخرى فتظهر الرحمة الإلهيّة في سلوك الإنسان وحياته وسيرته.

والقلب الجوارحي يموت بانقطاع الدم وبسدّ الشرايين، فكذلك الجوانحي فإنّ موته إنّما يكون بالذنوب والمعاصي. فالقلب الجوانحي يأخذ النور الإلهي والهدى من الله سبحانه وتمنحه العطاء في حركات الإنسان وسكناته.

وأهمّ العوامل لإغلاق القلب وانتكاسه أمران:

الأوّل: الإعراض عن آيات الله وتكذيبها:

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾[١].

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً ﴾[٢].

الثاني: الذنوب:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٣].

قال الصادق عليه السلام: كان أبي يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئته، إنّ القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتّى تغلب عليه، فيصير أعلاه أسفله.

فالقلب يتلقّى النور والهدى المتمثّل بآيات القرآن الذي نضعه على الرؤوس في دعاء ليالي القدر وأعمالها.

---

(١) الأنعام: ٣٩.

(٢) لقمان: ٧.

(٣) المطفّفين: ١٤.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾[١].

﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾[٣].

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٤].

﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٥].

والقلب الذي يفاض عليه النور والهدى في الحياة يكون حيّاً:

﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾[٦].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٧].

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[٨].

---

(١) الفرقان: ٣٢.

(٢) الزمر: ٢٣.

(٣) النساء: ١٧٤.

(٤) آل عمران: ١٣٨.

(٥) الأعراف: ٢٠٣.

(٦) الأنعام: ١٢٢.

(٧) الحديد: ٢٨.

(٨) النور: ٤٠.

فالقلب وسيط بين الله وبين الإنسان، يأخذ النور والهدى من ربّه أوّلاً ثمّ يعطيه للجوارح والجوانح.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به».

وإذا فقد الإنسان قبول القرآن الكريم النازل، فقد يفقد التمكّن من رفع القرآن الصاعد، أي الدعاء، فينغلق قلبه:

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾[1].

فلا يرى الحقّ، ولا يسمع كلامه، ولا يتكلّم به:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[2].

﴿ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾[3].

وبالذنوب يفقد الإنسان حلاوة الذكر، فأدنى ما يصنع الله بالمذنب وبمن لا يعمل بعلمه، أن يسلب منه حلاوة المناجاة.

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي قد حرمت الصلاة بالليل، فقال عليه السلام: أنت رجل قد قيّدتك ذنوبك، والمعصية تمنع الإجابة.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: والذنوب التي تردّ الدعاء وتظلم الهواء

(١) البقرة: ١٨.

(٢) البقرة: ٧٤.

(٣) النمل: ٨٠.

عقوق الوالدين. وفي رواية أُخرى: والذنوب التي تردّ الدعاء: سوء النيّة، وخبث السريرة، والنفاق، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضات حتّى تذهب أوقاتها، وترك التقرّب إلى الله عزّ وجلّ بالبرّ والصدقة، واستعمال البذاء والفحش في القول.

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام: إنّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك وتعالى للملك: لا تقضِ حاجته واحرمه إيّاها، فإنّه تعرّض لسخطي، واستوجب الحرمان منّي.

ومن رحمة الله سبحانه ولطفه بعباده أن جعل لهم الوسيلة في استجابة الدعاء والتقرّب منه، فقال تعالى:

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ ﴾[1].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ ﴾[2].

فهذه الوسائل جعل الله لمن يعجز عن صعود دعائه إلى ربّه:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[3].

ورد في الحديث: في تفسير يصعد إليه الكلم الطيّب إنّما هو العمل الخالص، ومن الواضح أنّ الإخلاص من الصعب المستصعب، فالناس كلّهم هلكى إلّا العلماء، والعلماء كلّهم هلكى إلّا العاملون، والعاملون كلّهم هلكى إلّا

(١) الإسراء: ٥٧.

(٢) المائدة: ٣٥.

(٣) فاطر: ١٠.

المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم.

فالعمل الصالح يرفع الكلم الطيّب بصريح القرآن الكريم، وقد يعجز الإنسان عن العمل الصالح فجعل الله وسائل للصعود:

منها: استغفار النبيّ لأُمّته:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾[١].

ومنها: التوسّل برسول الله وأهل بيته.

عن داود البرقي قال: إنّي كنت أسمع أبا عبد الله عليه السلام أكثر ما يلحّ في الدعاء على الله بحقّ الخمسة ـ يعني رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام ـ[٢].

وعن سماعة: قال لي أبو الحسن عليه السلام: إذا كان لك يا سماعة إلى الله حاجة فقل: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وعليّ، فإنّ لهما عندك شأناً من الشأن وقدراً من القدر، وبحقّ ذلك القدر أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تفعل بي كذا وكذا[٣]، فتطلب حاجتك.

وقد استجاب الله لآدم وقبل توبته بتوسّله بأصحاب الكساء عليهم السلام كما ورد في كتب الفريقين السنّة والشيعة.

(١) النساء: ٦٤.

(٢) الوسائل ٤: ١١٢٩.

(٣) عدّة الداعي: ٣٨.

ومنها: الإقرار بالذنب:

«وجعلتُ الإقرار بالذنب وسيلتي»[١].

أيّها المؤمنون، إنّ الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره، أي الستار على نفسه، فكلّ واحد منّا يعلم ماذا فعل من الذنوب، وليلة القدر الأُولى ليلة الاستغفار والتوبة والإنابة والرجوع إلى الله سبحانه، ليلة التخلية من الآثام والمعاصي والملكات الرذيلة والصفات السيّئة والأخلاق القبيحة، ونتوسّل بالله وبأربعة عشر معصوم عليهم السلام وبرفع القرآن الكريم على الرؤوس لتكون في ظلّه، وفي دائرة تعاليمه نكتسب منه الحياة الطيّبة والمعارف الإلهيّة والعلوم السماويّة.

ومن الله التوفيق والتسديد، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد وآله الطاهرين.

(١) المناجاة الشعبانيّة.

محاضرة
ليلة القدر الثانية

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمّد وآله الطاهرين.

اللهمّ ألهمني التقوى وأنطقني بالهدى، ووفّقني لليلة القدر على أفضل حال تحبّ أن يكون عليها أحد من أوليائك، شاكراً حامداً مصلّياً مطيعاً مستغفراً باكياً راجياً خائفاً مستعيناً بك، عابداً إيّاك.

نحمدك اللهمّ إذ وفّقتنا لإحياء ليالي القدر، فاجعلها خيراً من ألف شهر، وارزقنا فيها العافية، عافية الدين والدنيا والآخرة.

وما أعظم ليلة القدر عند الله وعند رسله وأوصيائه وأوليائه، ففيها يفرق كلّ أمر حكيم، وإنّها ليلة نزول القرآن الكريم، ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه هدىً للمتّقين.

وكلّ من يتمثّل فيه الآيات القرآنيّة وتنزل على وجوده، فيجسّد القرآن في عقيدته وسلوكه وأعماله وأخلاقه. فيتخلّق ويتجسّد بالقرآن الكريم فهو من مصاديق ليلة القدر، ويدرك بركاتها ورحمتها وفضلها ومقامها الشامخ، فمن طبّق

القرآن في حياته وسيرته كان من ليلة القدر ومن نهاره، وأمّا من جعل القرآن وراء ظهره ـ والعياذ بالله ـ سواء القرآن الصامت أو القرآن الناطق الذي هو ترجمان القرآن السماوي أي الإمام المعصوم في كلّ عصر، فإنّه تكون ليلة القدر من ليلة القبر، وكان ميّت القلب وإن كان يعيش بحياة حيوانيّة ونباتيّة بالأكل والنوم واتباع الملاذ والشهوات، فإنّه مات في إنسانيّته التي تمثّلت فيها الروح الملكوتيّة ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[1].

فالبشريّة في مثل هذه الليالي المباركة إمّا أن يكونوا من ليلة القدر أو من ليلة القبر، فمن كان يحمل المعارف الحقّة والعلوم الإلهيّة، والأخلاق المحمّديّة، والصفات العلويّة، والمكارم الفاطميّة، والفضائل الحسنيّة، والسجايا الحسينيّة، ويدخل في إطار الثقلين: كتاب الله والعترة الطاهرة أهل البيت عليهم السلام، فإنّه من ليلة القدر، ومن انحرف عن الصراط المستقيم والنبأ العظيم ولم يكفر بالجبت والطاغوت، واتّخذ إلهه هواه، وغلبت عليه شقوته، فإنّه يكون من ليلة القبر.

ثمّ كما ورد عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض[2].

كما قال:

«عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ أينما دار يدور».

---

(١) الحجر: ٢٩.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٢٤، وكنز العمّال ١١: ٦٠٣، والمناقب للخوارزمي: ١٠٧. وكفاية الطالب: ٢٥٣، وإحقاق الحقّ ٥: ٦٣٩.

فمن كان مع القرآن ومع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كان ليلة القدر وأدرك فضيلتها وخيرها وشرفها وبركاتها، وكتب في علّيّين.

وإذا ورد في الحديث الشريف عن الأئمة الأطهار عليهم السلام أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام هي ليلة القدر، ومن عرفها فقد أدرك ليلة القدر، فإنّه باعتبار أنّها المصداق الأتمّ لليلة القدر التي نزل فيها القرآن الكريم، فصدرها وعاء لحقائق القرآن، وهي روح النبيّ التي بين جَنبيه ـ كما سنتحدّث عن هذا المعنى إن شاء الله في ليلة القدر الثالثة[1] ـ ففاطمة الزهراء سيّدة النساء جمعت بين نوري النبوّة والإمامة، فهي بنت خاتم الأنبياء وزوجة سيّد الأوصياء عليهم السلام، وإنّها مظهر عصمة الله الكبرى.

وكلّ معصوم هو ليلة القدر، بل كلّ شيعي يؤمن بولاية أهل البيت عليهم السلام ويتّبع القرآن الكريم، ويتمثّل فيه وفي حياته أنوار الثقلين ـ الكتاب الكريم والعترة الطاهرة ـ فهو ليلة القدر، وبمقدار ما يحمل من العلوم والمعارف القرآنيّة والنبويّة والولويّة فهو قد أدرك من ليلة القدر. وأمّا من جمع الصفات الرذيلة والأخلاق السيّئة، واتّبع الشيطان وحزبه وأعوانه، ودخل في ولاية الجبت والطاغوت، فإنّه يموت قلبه، ويكون من ليلة القبر.

ومن أراد أن يخرج من قبره وليلته، ويدخل في ليلة القدر وقدرها وفضلها، فعليه أن يتّصف بآيات القرآن الكريم، ويتخلّق بأخلاق الله، وبأخلاق رسله

(١) تحدّثت عن ذلك بالتفصيل أيضاً في رسالة (فاطمة الزهراء ليلة القدر) مطبوع في موسوعة (رسالات إسلاميّة) المجلّد السادس.

وأوصيائه والعترة الطاهرة عليهم السلام.

وإذا كان خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، فإنّما هو جزء من الرحمة الإلهيّة إذ الرحمة الإلهيّة مطلقة وبلا نهاية، وإنّ الله ليحفظ ماء وجه عبده أمام الخلق إذا كان من أهل ليلة القدر، فمن ارتكب المعاصي والآثام والذنوب، وسوّد صحيفة أعماله، فإنّه يتوب في هذه الليلة كما تاب في الليلة الأُولى من ليالي القدر، ويتحلّى بالطاعة لربّه فإنّ الله يغفر له ويتوب عليه ويحاسبه حساباً يسيراً، فلا يفضحه أمام الخلائق، بل يستر عليه، بل يظهر جميله، فهذه الليلة ليلة التحلية.

يغفر الله له، وينسى الأرض التي أذنب عليها، كما ينسى جوارحه وجوانحه، بل تشمله الرحمة الإلهيّة الوسيعة أن ينسيه نفسه أيضاً، فلا يخجل حتّى عند نفسه، فإنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ويكون كيوم ولدته أُمّه، طاهراً مطهّراً معصوماً من الذنب، ويدخل الجنّة، ولا يتذكّر ذنبه، إذ تذكّر الذنب غصّة وحزن، ولا حزن ولا غصص في الجنّة.

فعلى كلّ واحد منّا أن يكون مظهراً لليلة القدر، عندما يكون في محضر القرآن الكريم والعترة الطاهرة علماً وعملاً، فكراً وسلوكاً، عقيدةً وجهاداً.

ومن هذا المنطلق ولنزداد يقيناً وثباتاً في عقيدتنا، ومن وحي المناسبة وإنّ ليالي القدر يتجلّى فيها مظلوميّة أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين وإمام المتّقين أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أودّ أن أُشير إلى لمعة من لمعاته عليه السلام بمعرفة جماليّة ونورانيّة، لنكون في رحاب صاحب الزمان إمامنا المنتظر الحجّة الثاني عشر سلام الله عليه أبد الآبدين، وعجّل الله فرجه الشريف، وجعلنا من

خلّص شيعته وأنصاره وأعوانه، والمستشهدين بين يديه، آمين ربّ العالمين.

هلمّ لنتفيّأ بالدوحة الهاشميّة، وفي ظلال مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ونجثو الركاب أمام عظمته وقداسته، نستلهم منه المدد والعون، ليشفع لنا عند الله سبحانه: «يا وجيهاً عند الله، اشفع لنا عند الله».

والحديث إنّما يكون عن حقيقة الصراط المستقيم وأنّه ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

الصراط المستقيم:

إنّ المؤمن والمسلم في كلّ صلاته في ليله ونهاره، وفي حمده وقرآنه، يدعو الله سبحانه، ويطلب منه أن يهديه الصراط المستقيم، ذلك الصراط الذي أنعم الله سبحانه بنعمة رحيميّة خاصّة على أصحابه، ولم يغضب عليهم كاليهود، ولم يضلّوا سواء السبيل كالنصارى.

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾[1].

وقد ذكر الله سبحانه مَن هم الذين أنعم عليهم بنعمه الخاصّة في قوله تعالى:

﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً * وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً

(١) الفاتحة: ٦ ـ ٧.

* ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً ﴾[1].

ثمّ هذا الصراط المستقيم إنّما يتجسّد ويتمثّل بأُمور:

الأوّل ـ عبادة الله عزّ وجلّ حقّاً، هذه العبادة التي هي من فلسفة الحياة وسرّ الخليقة، فقال سبحانه:

﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾[2].

الثاني ـ الدين الإسلامي الحنيف، كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾[3].

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[4].

الثالث ـ اتّباع النبيّ صلى الله عليه وآله، كما في قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ﴾[5].

الرابع ـ الاعتصام بالله:

﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[6].

الخامس ـ الحكومة بالعدل بكلّ مظاهره:

﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[7].

(١) النساء: ٦٨ ـ ٧٠.

(٢) يس: ٦١.

(٣) الأنعام: ١٦١.

(٤) آل عمران: ٨٥.

(٥) الأنعام: ١٥٣.

(٦) آل عمران: ١٠١.

(٧) النحل: ٧٦.

السادس ـ الإيمان :

﴿ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١].

السابع ـ القول الطيّب :

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ ﴾[٢].

والقول هو الكلام مع العمل كما في قوله : (قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا).

الثامن ـ المشي السوي والاعتدال في الحياة :

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٣].

والجامع لكلّ هذه المظاهر والتمثّلات والتعيّنات هو الإمامة والولاية المتحقّقة بعد رسول الله خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وبأولاده المعصومين الأئمة الطاهرين عليهم السلام. فالخلفاء الاثنا عشر ـ وكلّهم من قريش كما في الصحاح ـ وهم عليّ وأحد عشر من ولده المعصومين عليهم السلام، هم الصراط المستقيم.

ولا يخفى أنّ الصراط في المفهوم الإسلامي إنّما هو صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، وأنّ أحدهما يعبّر ويحكي عن الآخر، وبينهما تلازم في العلم والعمل، في العقيدة والسلوك.

(١) الحجّ : ٥٤.

(٢) الحجّ : ٢٤.

(٣) الملك : ٢٢.

عن المفضّل بن عمر قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط ؟ فقال : هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ، وهما صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأمّا الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردّ في نار جهنّم[١].

وأمّا من هو الإمام المفروض الطاعة ؟ فهذا ما توضحه لنا البراهين الساطعة والأدلّة القاطعة من العقل والنقل من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ـ كما هو مذكور بالتفصيل في محلّه من كتب علم الكلام والعقائد فراجع ـ.

والإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام يعرّف المصداق الأتمّ للصراط المستقيم في قوله عليه السلام : «ليس بين الله وحجّته ستر، نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، وأركان توحيده، وموضع سرّه»[٢].

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾[٣]، قال : والله عليّ عليه السلام هو والله الميزان والصراط المستقيم[٤].

(١) البحار ٨ : ٦٦.

(٢) البحار ٨ : ٧٠.

(٣) الحجر : ٤١.

(٤) تفسير البرهان ٢ : ٣٤٤.

قال الطبرسي في تفسيره : قرأ القرّاء السبعة (صراط) منوّناً مرفوعاً، وعليّ بفتح اللام، وقرأ يعقوب وأبو رجاء وابن سيرين وقتادة ومجاهد وابن ميمون (عليّ) بكسر اللام وصفاً للصراط[١].

وقال العلّامة المجلسي : الظاهر أنّه (عليّ) بالجرّ بإضافة الصراط إليه، ويؤيّده ما رواه قتادة عن الحسن البصري، قال : كان يقرأ هذا الحرف (هذا صراط عليٍّ مستقيم)[٢].

وعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام في حديث، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا، أو فضّل علينا غيرنا، فإنّهم عن الصراط لناكبون[٣].

إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ** ﴾[٤].

ومن نكب عن الصراط المستقيم فإنّه في جهنّم وبئس المصير.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : الصراط الذي قال إبليس ﴿ **لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ** ﴾[٥]، فهو عليّ عليه السلام[٦].

(١) جامع البيان ١٤ : ٢٤.

(٢) البحار ٢٤ : ٢٣.

(٣) الكافي ١ : ١٨٤.

(٤) المؤمنون : ٧٣ ـ ٧٤.

(٥) الأعراف : ١٦.

(٦) شواهد التنزيل ١ : ٦١.

فأقسم الشيطان بعزّة الله سبحانه منذ اليوم الأوّل أنّه يغوي ويضلّ الناس جميعاً إلّا القليل من عباد الله الشكور، أُولئك الذين أخلصوا لله في سرّهم وعلانيتهم.

هذا وقد استحوذ الشيطان عليهم فارتدّ الناس بعد رسول الله عن ولاية عليّ عليه السلام وخلافته بالحقّ إلّا القليل ممّا وفى لرعاية الحقّ وأهله، ويوم القيامة سيخاطبهم النبيّ على الحوض ـ كما في صحيح البخاري ـ قائلاً : أصحابي أصحابي، فيأتي الخطاب من مصدر الجلالة : سحقاً سحقاً ـ أي إلى جهنّم ـ لا تدري ماذا أحدثوا بعدك يا رسول الله، وأيّ حدثٍ أعظم من غصب الخلافة الحقّة ؟ ! فلم يبقَ منهم إلّا كهمل النعم، أي الشيء القليل جدّاً كالأكل المتبقّي على فم الأنعام من الإبل والبقر والأغنام.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ولاية عليّ عليه السلام وفي حقّه : «فوعزّة ربّي وجلاله إنّه لباب الله الذي لا يؤتى إلّا منه، وإنّه الصراط المستقيم، وإنّه الذي يسأل عن ولايته يوم القيامة»[١].

وقال صلى الله عليه وآله : أتاني جبرئيل عليه السلام فقال : أُبشّرك يا محمّد بما تجوز على الصراط ؟ قال : قلت : بلى. قال : تجوز بنور الله، ويجوز عليّ بنورك، ونورك من نور الله، وتجوز أُمّتك بنور عليّ، ونور عليّ من نورك ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** ﴾[٢].

(١) شواهد التنزيل ١ : ٦١.

(٢) النور : ٤٠.

وقال ﷺ: إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنّم لم يجز عليه إلّا من كان معه جواز فيه ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ ﴾[1]، يعني عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

وقال ﷺ: إذا جمع الله الأوّلين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنّم، لم يجز بها أحد إلّا من كانت معه براءة بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[3].

وفي حديث وكيع قال أبو سعيد: يا رسول الله، ما معنى براءة عليّ عليه السلام؟ قال: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله[4].

وقال ﷺ في حديث طويل: وإنّ ربّي عزّ وجلّ أقسم بعزّته أنّه لا يجوز عقبة الصراط إلّا من معه براءة بولايتك وولاية الأئمّة من ولدك.

وعنه ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب على الفردوس ـ وهو جبل قد علا على الجنّة فوقه عرش ربّ العالمين، ومن صفحه تتفجّر أنهار الجنّة وتتفرّق في الجنان ـ وهو جالس على كرسي من نور يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد الصراط إلّا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على الجنّة فيدخل محبّيه الجنّة ومبغضيه النار[5].

(١) الصافّات: ٢٤.

(٢) البحار ٨: ٦٩.

(٣) فرائد السمطين ١: ٢٩٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٢: ١٥٦.

(٥) فرائد السمطين ١: ٢٩٢.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «ربّنا آمنّا واتّبعنا مولانا ووليّنا وهادينا وداعينا وداعي الأنام وصراط المستقيم السويّ، وحجّتك وسبيلك الداعي إليك على بصيرة هو ومن اتّبعه، سبحان الله عمّا يشركون بولايته، وبما يلحدون باتّخاذ الولائج دونه، فاشهد يا إلهي أنّه الإمام الهادي المرشد الرشيد عليّ أمير المؤمنين الذي ذكرته في كتابك وقلت: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1] لا أُشركه إماماً، ولا أتّخذ من دونه وليجة»[2].

فواقع الصراط المستقيم وحقيقته وسرّه هو ولاية أمير المؤمنين عليّ وأولاده الأئمة المعصومين الأحد عشر عليهم السلام.

ولا يخفى أنّ ولاية أهل البيت عليهم السلام تعني ولاية الرسول الأعظم محمّد ﷺ وولاية النبيّ والتي تسمّى بالحقيقة المحمّديّة هي من الولاية الإلهيّة العظمى التي هي تجمع أسماء الله وصفاته في تدبير الكون وشؤونه.

وبهذه الولاية وظهوراتها وتجلّياتها تصل الكائنات إلى كمالاتها، كما يصل الإنسان إلى سعادته في الدارين «سعد من والاكم، وشقى وهلك من عاداكم».

قال الإمام الصادق عليه السلام: الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا الصراط الممدود بين الجنّة والنار، وأنا الميزان.

فسلام الله وسلام رسوله وملائكته والخلق أجمعين على الصراط المستقيم

(١) الزخرف: ٤.

(٢) البحار ٢٤: ٢٣.

والميزان القويم، مولانا أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين أسد الله الغالب الإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، وعلى أولاده المعصومين الأدلّاء على صراط الله، فالراغب عنهم مارق، واللازم لهم لاحق، والمقصّر في حقّهم زاهق، والحقّ معهم وفيهم ومنهم وهم أهله ومعدنه[١]. وهم الصراط الأقوم، ومن أراد الله بدأ بهم، ومن وحّده قبل عنهم[٢].

ثمّ لا بدّ من الاستقامة في هذا الطريق المستقيم بلا انحراف ولا اعوجاج ولا إفراط ولا تفريط، أي بلا غلوّ ولا تقصير.

وصراط عليّ هو صراط الله، وإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يهدي الناس إلى صراطه:

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾[٣].

وهذا الصراط الذي أمرنا الله باتّباعه بقوله تعالى: ﴿ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾[٤].

عن بلال بن حمامة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ضاحكاً مستبشراً فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: ما أضحكك يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟

(١) راجع في عليّ هو الصراط المستقيم كتاب (إحقاق الحقّ وتعليقاته) ٧: ١١٤ ـ ١٢٥.

(٢) اقتباس من زيارة الجامعة الكبرى.

(٣) الشورى: ٥٢ ـ ٥٣.

(٤) الأنعام: ١٥٢ ـ ١٥٣.

قال: بشارة أتتني من عند ربّي، إنّ الله لمّا أراد أن يزوّج عليّاً فاطمة أمر ملكاً أن يهزّ شجرة طوبى فهزّها فنشرت رقاقاً (أي صكاكاً) وأنشأ الله ملائكة التقطوها فإذا كانت القيامة ثارت الملائكة في الخلق فلا يرون محبّاً لنا أهل البيت محضاً إلّا دفعوا إليه منها كتاباً: براءة له من النار من أخي وابن عمّي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أُمّتي من النار[١].

ها ونحن في ضيافة الله في شهر رمضان المبارك دعانا الربّ الكريم إلهنا القديم الرحمن العظيم على مأدبة كتابه المجيد وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وعلى مائدة الأدعية والأذكار واستجابة الدعاء وغفران الذنوب، ولا يخفى أنّ قمّة الضيافة الرمضانيّة وأوجها في ليالي القدر المباركة، فإنّ الله يمدّ سماط رحمته الواسعة، ويقدّر كلّ أمرٍ حكيم ويدبّر شؤون الكائنات بتقدير وقضاء وحكم، يكتبه في ليلة التاسع عشر من الشهر المبارك، ويبرمه بعد التقديم والتأخير في الليلة الحادية والعشرين، ويختمه في اللوح المحفوظ في الليلة الثالثة والعشرين، ويطلع وليّه الأعظم صاحب الزمان الإمام المنتظر عليه السلام، يتنزّل الملائكة والروح عليه من كلّ أمر، سلامٌ هي حتّى مطلع الفجر.

(١) تاريخ بغداد ٤: ٢١٠.

محاضرة
ليلة القدر الثالثة

الحمد لله الذي فطر السماوات والأرض وكان نورهما، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأنوار أسمائه وصفاته محمّد وآله الطاهرين المعصومين.

وبعد:

فقد قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾[1].

في ظلال تفسير وتأويل آية النور:

لمّا بدأ الصراع بين الحقّ والباطل والنور والظلمة والخير والشرّ، وذلك منذ أن خلق الله آدم صفوته، ثمّ أمر الله الملائكة أن يسجدوا له، فأبى إبليس واستكبر وكان من الكافرين، ثمّ أُهبط مع آدم إلى الأرض ليكون الشيطان عدوّ الإنسان، وإنّ آدم يمثّل الرحمن في أسمائه وصفاته.

(١) النور: ٣٥.

وبدأ الصراع بين آدم وبينه الرحمانيّ، وبين إبليس وأعوانه الشيطانيّ، ثمّ سبحانه وتعالى أتمّ حجّته البالغة على الخلق بالهداية العامّة والخاصّة، بإنزال الكتب السماويّة وإرسال الرسل، وبعث الأنبياء، ومن ثمّ ورثتهم الذين أمرهم الله بحفظ الرسالة النبويّة السمحاء من الأوصياء والعلماء الصالحين. وميّز الخبيث من الطيّب والمؤمن من الكافر، وأبان الحقائق وأظهرها في كلّ زمرة وطائفة.

ومن هذا المنطلق نرى سبحانه في سورة النور وآياته من قوله تعالى:

﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1]، يحكي لنا مقايسة بين المؤمنين والكفّار، بحقيقة الإيمان الذي هو نور خاصّ وحقيقة الكفر الذي هو ظلمة وظلمات فوقها فوق بعض.

فالمؤمنون يمتازون بالهدى والنور، وأنّهم مهديّون بأعمالهم الصالحة إلى نور من ربّهم، يفيدهم ويزيدهم معرفة الله عزّ وجلّ، ويسلك بهم إلى أحسن الجزاء والفضل والكرامة من الله سبحانه في الدنيا والآخرة، فإنّه يحييهم حياة طيّبة ويجازيهم بأحسن ما عملوا، فينكشف عن قلوبهم وأبصارهم الغطاء، وتتنوّر جوارحهم وجوانحهم بالنوايا الصالحة والصادقة والأعمال الطيّبة والأفعال الحسنة. أمّا الكفّار فلا تسلك بهم أعمالهم إلّا إلى سراب لا حقيقة له، وهم في ظلمات بعضها فوق بعض ولم يجعل الله لهم نوراً وإماماً صالحاً فما لهم من نور.

(١) النور: ٣٥ ـ ٤٦.

ثمّ يتّصف الله سبحانه بالرحمة الرحمانيّة العامّة للمؤمنين والكفّار في الدنيا، والرحمة الرحيميّة المختصّة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة، فبيّن في آية النور هذه الحقيقة بأنّ له تعالى نوراً عامّاً وخاصّاً، والأوّل: تستنير به السماوات والأرض، فتظهر به في الوجود بعدما لم تكن ظاهرة فيه.

والنور تعريفه وماهيّته أنّه الظاهر بنفسه والمظهر لغيره كالنور الحسّي. وظهور شيء بشيء يتطلّب أن يكون المظهر ظاهراً بنفسه أيضاً، فالظاهر بذاته المظهر لغيره هو النور. فهو سبحانه وتعالى نور ـ كما أنّ من أسمائه الحسنى النور ـ يظهر السماوات والأرض بإشراقه عليها. كما أنّ الأنوار الحسّية تظهر الأجسام الكثيفة للحسّ بإشراقها عليها، إلّا أنّ الفرق الجوهري بين النور الحسّي ونور الله سبحانه: أنّ ظهور الأشياء بالنور الإلهي عين وجودها، وظهور الأجسام الكثيفة بالأنوار الحسيّة غير أصل وجودها. وهذا النور العامّ من الرحمة الرحمانيّة.

وأمّا الثاني أي النور الخاصّ: فإنّه الرحمة الرحيميّة يستنير به المؤمنون ويهتدون إليه بأعمالهم الصالحة.

وهو نور العلم والمعرفة الذي ستستنير به قلوبهم وأبصارهم يوم تتقلّب فيه القلوب والأبصار، فيهتدون به إلى سعادتهم الخالدة ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾[1]، فيشاهدون فيه شهود عيان ما كان في غيب عنهم في الدنيا، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وما لم يخطر على قلب بشر.

ثمّ مثّل تعالى هذا النور بمصباح في زجاجة في مشكاة، ثمّ يشتعل

(١) هود: ١٠٨.

من زيت في غاية الصفاء والطهارة، فتتلألأ الزجاجة كأنّها كوكب درّي فتزيد نوراً على نور، وهذا المصباح الإلهي النوري قد وضعه الله في بيوت العبادة، التي يسبّح فيها رجال من المؤمنين، لا تلهيهم عن ذكر ربّهم وعبادته تجارة ولا بيع.

فهذه صفة النور الإلهي الذي أكرم الله به المؤمنين وحرّمه على الكافرين، فتركهم في ظلمات لا يبصرون، وهذا لطف من الله فمن اشتغل به وأعرض عن الدنيا الدنيئة، فإنّه يخصّه بنوره من عنده، والله يفعل ما يشاء، له الملك وإليه المصير، يحكم بما أراد، وينزل الودق والبرد من سحاب واحد، ويقلّب الليل والنهار، ويجعل من الحيوان من يمشي على بطنه ومن يمشي على رجلين ومن يمشي على أربع، وقد خلق الكلّ من ماء ـ كلّ هذا بقدرته وعلمه عزّ وجلّ ـ.

ثمّ التفسير بمعنى كشف القناع عن الظاهر من الألفاظ والمعاني في القرآن الكريم، والتأويل هو كشف القناع عن الباطن، فإنّ القرآن يحمل بطون، مثل سبعة بطون، ولكلّ بطن سبعين بطناً، بل ويزيد إلى ما علمه عند الله سبحانه، ثمّ النبيّ قائل على التنزيل والإمام الوصيّ على التأويل، ومن التأويل والتطبيق وبيان المصاديق لمفاهيم القرآن الكريم، وما يعلم تأويل القرآن إلّا الراسخون في العلم وهم الرسول الأعظم وخلفائه الأطهار عليهم السلام ومن يحذو حذوهم، الأمثل فالأمثل الذين يقتبسون من نورهم عليهم السلام الذي هو مظهر نور الله سبحانه.

وبهذا نرى أئمّتنا الصادقين عليهم السلام قد فسّروا لنا آية النور بذكر أتمّ المصاديق كما سيتّضح هذا المعنى من خلال عرض بعض الروايات الشريفة في المقام.

وأمّا تفسير مفردات آية النور :

فالنور : الضوء المنتشر الذي عيّن على الأبصار، وذلك ضربان دنيوي وأُخروي فالدنيوي ضربان : ضرب معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من الأُمور الإلهيّة كنور العقل ونور القرآن، ومحسوس بعين البصر وهو ما انتشر من الأجسام النيّرة كالقمرين والنجوم والنيران.

فمن النور الإلهي قوله عزّ وجلّ : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾[١]، وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾[٢]، وقال : ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٣].. إلى أن قال : ومن النور الأُخروي قوله : ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾[٤]، وقوله : ﴿ انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾[٥] [٦].

والنور عند الفلاسفة : هو الظاهر بنفسه والمظهر لغيره.

وفي بحار الأنوار باب أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام أنوار الله وتأويل آية النور فيهم[٧].

---

(١) المائدة : ١٥.

(٢) الأنعام : ١٢٢.

(٣) الشورى : ٥٢.

(٤) التحريم : ٨.

(٥) الحديد : ١٣.

(٦) سفينة البحار ٨ : ٣٤٦، عن مفردات الراغب والبحار ٦١ : ٣٠٣.

(٧) المصدر، عن البحار ٢٣ : ٣٠٤.

تفسير القمّي : عن أبي خالد الكابلي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ﴾[١]، فقال : يا أبا خالد، النور والله الأئمة من آل محمّد إلى يوم القيامة، هم والله نور الله الذي أنزل، وهم والله نور الله في السماوات والأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمّن شاء فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد لا يحبّنا عبد ويتولّانا حتّى يطهّر الله قلبه، ولا يطهّر الله قلب عبدٍ حتّى يسلم لنا ويكون سلماً لنا، فإذا كان سلماً لنا سلّمه الله من شديد الحساب، وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر.

وأيضاً الروايات الدالّة على أنّهم عليهم السلام كانوا أنواراً محدقين بالعرش في باب النصوص عليهم عليهم السلام[٢].

وباب بدو خلقة نور رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام[٣].

وباب أنّهم من نور واحد[٤]، وفي اتّحاد نور الرسول والأمير محمّد وعليّ عليهما السلام[٥].

في الحديث النبوي الشريف : فما كان من نور عليّ عليه السلام فصار في ولد الحسن، وما كان من نوري صار في ولد الحسين عليه السلام، فهو ينتقل في الأئمة من

---

(١) التغابن : ٨.

(٢) البحار ٣٦ : ٢٢٦.

(٣) البحار ١٥ : ٢.

(٤) البحار ٢٥ : ١.

(٥) البحار ٣٥ : ٢٩.

ولده إلى يوم القيامة[١].

عن الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله إذ لا كان فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمّداً وعليّاً عليهما و آلهما السلام، فلم يزالا نورين أوّلين، أو لا شيء كون قبلهما فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة حتّى افترقا في أطهر طاهرين عبد الله وأبي طالب عليهما السلام[٢].

وفي البحار باب أيضاً في أنّه نزل في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه الذكر والنور والهدى في القرآن[٣].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: يا نور النور، يا منوّر النور، يا خالق النور، يا مدبّر النور، يا مقدّر النور، يا نور كلّ نور، يا نوراً قبل كلّ نور، يا نوراً بعد كلّ نور، يا نوراً فوق كلّ نور، يا نوراً ليس كمثله نور[٤].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هذا القرآن حبل الله والنور المبين.

قال الإمام الحسن عليه السلام: إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: تعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، وتفقّهوا فيه، فإنّه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنّه شفاء الصدور.

---

(١) البحار ١٥: ٧ و ٨، وقد ذكرت بالتفصيل الخلق النوري للأئمة عليهم السلام في كتاب (الأنوار القدسيّة)، مطبوع في موسوعة (رسالات إسلاميّة) المجلّد السابع، فراجع.

(٢) البحار ٥٧: ١٩٦.

(٣) البحار ٣٥: ٣٩٤.

(٤) ميزان الحكمة ٤: ٣٣٨٧.

وقال عليه السلام في وصف النبيّ صلى الله عليه وآله: حتّى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمّد صلى الله عليه وآله... فهو إمام من اتّقى، وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوؤه، وشهاب سطع نوره، وبرق لمعه.

وعنه عليه السلام: إنّما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة، يستضيء به من ولجها.

قال الصادق عليه السلام: ليس العلم بالتعلّم، إنّما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في الدعاء ـ: اللهمّ اجعل لي في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل لي في نفسي نوراً، وأعظم لي نوراً.

عن الإمام زين العابدين: وهب لي نوراً أمشي به في الناس، وأهتدي به في الظلمات، وأستضيء به من الشكّ والشبهات.

قال الإمام الصادق عليه السلام: طلبت نور القلب فوجدته في التفكّر والبكاء، وطلبت الجواز على الصراط فوجدته في الصدقة، وطلبت نور الوجه فوجدته في صلاة الليل.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام ـ لمّا سئل عن علّة كون المتهجّدين بالليل من أحسن الناس وجهاً ـ؟ قال: لأنّهم خلوا بالله فكساهم الله من نوره.

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: ما تركت صلاة الليل منذ سمعت قول النبيّ صلى الله عليه وآله: صلاة الليل نور. فقال ابن الكوّاء: ولا ليلة الهرير؟ قال:

ولا ليلة الهرير.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصلاة نور.

وعنه صلى الله عليه وآله: إذا رميت الجمار كان لك نوراً يوم القيامة.

وعنه صلى الله عليه وآله: عليك بتلاوة القرآن فإنّه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء.

وقال صلى الله عليه وآله: من قرأ هذه الآية عند منامه ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾[1]، إلى آخرها، سطع له نور إلى المسجد الحرام، حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون له حتّى يصبح[2].

إنّما ذكرت جملة من روايات النور لنقف ولو إجمالاً على معنى النور وتفسيره وتأويله في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وبيان بعض مصاديقه كالنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والقرآن والعلم وصلاة الليل وما شابه ذلك، وهذا يعني أنّ النور كلّي تشكيكي له مراتب طوليّة وعرضيّة، فقمّته هو النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله الذي يتجلّى فيه النور الإلهي سبحانه، ثمّ الأمثل فالأمثل.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) ميزان الحكمة: كلمة (نور).

نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾[1].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ثمّ يقول ـ يعني الربّ تبارك وتعالى ـ: ارفعوا رؤوسكم، فيرفعون رؤوسهم، فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى مثل النخلة بيده، ومنهم من يعطى أصغر من ذلك، حتّى يكون آخرهم رجلاً يُعطى نوره على إبهام قدميه يضيء مرّة ويطفأ مرّة[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ قال: جاهلاً عن الحقّ والولاية فهديناه إليها ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ قال: النور الولاية ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ يعني في ولاية غير الأئمة عليهم السلام ﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[3][4].

هذا إجمال ما أردنا بيانه في مفردة (النور) أمّا المفردات الأُخرى:

المشكاة: على ما ذكره الراغب وغيره: كوّة غير نافذة، وهي ما يتّخذ في جدار البيت من الكوّ، لوضع بعض الأثاث ـ فهو كالرفّ يوضع عليه بعض الأشياء ـ كالمصباح وغيره عليه.

(١) الحديد: ١٢ ـ ١٣.

(٢) ميزان الحكمة: كلمة (نور).

(٣) الأنعام: ١٢٢.

(٤) البحار ٢٣: ٣٠٩، الحديث ٨.

وقيل: المشكاة: الأُنبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة.

والمصباح: سراج يطرد الظلمة بنوره فيجعل الموضع كالصبح، وهو غير الفانوس، فيزيد عليه وعلى السراج نوراً وضياءً ولمعاً وبرقاً.

والزجاجة: جسم شفّاف ترى الأشياء من خلفه وتعكس النور.

والدرّي: من الكواكب العظيم الكثير النور، وهو معدود في السماء. وقال قوم: هي أحد الخمسة المضيئة: زحل والمشتري والمرّيخ والزهرة وعطارد. وقيل: المنسوب إلى الدرّ في صفائه وحسنه.

والزيت: الدهن المتّخذ من الزيتون.

فتبيّن أنّ النور هو الظاهر بنفسه والمظهر لغيره، فيطلق أوّلاً على النور الحسّي، ثمّ يعمّم بكلّ ما ينكشف به شيء، فيطلق على الحواسّ أنّها نوراً أو ذا نور، يظهر به محسوساته كالسمع والشمّ والذوق واللمس على نحو الاستعارة أو الحقيقة الثانية، ثمّ عمّم لغير المحسوس فعدّ العقل نوراً يظهر به المعقولات، كلّ ذلك بتحليل معنى النور المبصر إلى الظاهر بذاته المظهر لغيره.

وقوله تعالى: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾، لمّا كانت الأشياء الممكنة الوجود إنّما هي موجودة بإيجاد الله تعالى فهو علّة العلل كان هو المصداق الأتمّ للنور، فهو نور الأنوار، فهناك وجود ونور يتّصف به الأشياء وهو وجودها ونورها المستعار المأخوذ منه تعالى، ووجود ونور قائم بذاته يوجد ويستنير به الأشياء.

يقول العلّامة الطباطبائي في تفسيره القيّم (الميزان):

فهو سبحانه نور يظهر به السماوات والأرض، وهذا هو المراد بقوله: ﴿ اللهُ

نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ حيث أُضيف النور إلى السماوات والأرض، ثمّ حمل على اسم الجلالة، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول من قال: إنّ المعنى الله منوّر السماوات والأرض، وعمدة الغرض منه أن ليس المراد بالنور المستعار القائم بها، وهو الوجود الذي يحمل عليها تعالى الله عن ذلك وتقدّس.

وقيل: معنى نور السماوات والأرض أنّ الله هادي أهل السماوات والأرض.

ومن ذلك يستفاد أنّه تعالى غير مجهول لشيء من الأشياء، إذ ظهور كلّ شيء لنفسه أو لغيره إنّما هو عن إظهاره تعالى فهو الظاهر بذاته له قبله، وإلى هذه الحقيقة يشير قوله تعالى بعد آيتين: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾[1]، إذ لا معنى للتسبيح والعلم به وبالصلاة مع الجهل بمن يصلّون له ويسبّحونه، فهو نظير قوله: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[2].

فقد تحصّل أنّ المراد بالنور في قوله: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ نوره تعالى من حيث يشرق منه النور العامّ الذي يستنير به كلّ شيء وهو مساوٍ لوجود كلّ شيء وظهوره في نفسه ولغيره وهي الرحمة العامّة[3].

ومثل هذه المعاني الفلسفيّة الدقيقة يصعب فهمها على مثل أُولئك الأعراب،

---

(١) النور: ٤١.

(٢) الإسراء: ٤٤.

(٣) الميزان ١٨: ١٢٢.

فإنّهم بالأمس كانوا يعبدون الأوثان والأصنام التي يصنعونها بأيديهم من التمر وإذا جاعوا أكلوا ربّهم، وكانوا يئدون بناتهم ويكرهونهم على البغاء، واليوم يطرق أسماعهم قوله تعالى: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾.

فرفقاً وهدايةً ولطفاً بالناس، يضرب الله الأمثال لهم حتّى ينتفع الجميع وتتمّ الحجّة الإلهيّة. فيضرب الله مثلاً لنوره، والمقصود من هذا النور الثاني هو النور الخاصّ كما هو الظاهر، فإنّ إضافة النور إلى الضمير الراجع إليه تعالى دليل على أنّ المراد ليس هو وصف النور الذي هو الله، بل النور المستعار الذي يفيضه ليمثّل نور الله، فليس هو النور العام المستعار الذي يظهر به كلّ شيء وهو الوجود الذي يستفيضه منه الأشياء وتتّصف به. والدليل عليه قوله بعد تتميم المثل: ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[1].

فلو كان المراد النور العام فإنّه لم يختصّ به شيء دون شيء كما ذكرنا، بل المراد هو نوره الخاصّ بالمؤمنين بحقيقة الإيمان والهداية والإمامة والمعرفة على ما يظهر من الكلام في آيات عديدة. فإنّه نسب تعالى إلى نفسه نوراً كما في قوله: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾[2]، وقوله: ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾[3]، وقوله: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً

(١) النور: ٣٥.

(٢) الصفّ: ٨.

(٣) الأنعام: ١٢٢.

تَمْشُونَ بِهِ ﴾[1]، وقوله: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾[2]، وهذا هو النور الذي يجعله الله لعباده المؤمنين يستضيئون به في طريقهم إلى ربّهم وهو نور الإيمان والمعرفة المستقاة من الرسالة والإمامة.

ثمّ العلّامة الطباطبائي يقول: وليس المراد بالنور في خصوص هذه الآية القرآن كما قاله بعضهم، فإنّ الآية تصف حال عامّة المؤمنين قبل نزول القرآن وبعده، على أنّ هذا النور وصف لهم يتّصفون به كما يشير إليه قوله: ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾[3]، وقوله: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾[4]، والقرآن ليس وصفاً لهم، نعم إن لوحظ باعتبار ما يكشف عنه من المعارف رجع إلى ما قلناه.

ثمّ في كلّ تشبيه لا بدّ من أركانه: من المشبّه والمشبّه به ووجه الشبه، فالمشبّه به ليس المشكاة وحسب، بل مجموع ما ذكر من قوله تعالى: ﴿ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾، وهذا كثير في تمثيلات القرآن الكريم.

ثمّ تشبيه ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾[5] من جهة ازدياد لمعان نور المصباح وشروقه وانعكاسه بتركيب الزجاجة على المصباح فتزيد الشعلة بذلك سكوناً من غير اضطراب بتموّج الأهوية والأرياح، فتكون الزجاجة حافظة ومانعة من ضرب الأرياح، فهي كالكوكب الدرّي في شعاعها وتلألؤ نورها

(١) الحديد: ٢٨.

(٢) الزمر: ٢٢.

(٣) الحديد: ١٩.

(٤) التحريم: ٨.

(٥) النور: ٣٥.

وثبات شروقها.

وقوله تعالى: ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ خبر بعد خبر للمصباح، أي المصباح يشتعل ويستمدّ شعلته من شجرة مباركة زيتونة، أي أنّه يشتعل من دهن زيت مأخوذ منها، والمراد بكون الشجرة لا شرقيّة ولا غربيّة أنّها ليست نابتة في الجانب الشرقي ولا في الجانب الغربي حتّى تقع الشمس عليها في أحد طرفي النهار ويفيء الظلّ عليها في الطرف الآخر فلا تنضج ثمرتها، فلا يصفوا الدهن المأخوذ منها، فلا تجود الإضاءة، بل هي في ضاحية تأخذ من الشمس حظّها طول النهار فيجود دهنها لكمال نضج ثمرتها. ويدلّ على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ فالمراد به صفاء الدهن وكمال استعداده للاشتعال وأنّ ذلك متفرّع على الوصفين: لا شرقيّة ولا غربيّة[1].

وقيل: ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ أي يشتعل من دهن شجرة مباركة، وهي الزيتونة الشاميّة، قيل: لأنّ زيتون الشام أبرك.

والبركة بمعنى الخير المستقرّ والمستمرّ.

وقيل: وصفت بالبركة لأنّ الزيتون يورق من أوّله إلى آخره.

وقوله: ﴿ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾ قيل: معناه لا شرقيّة بشروق الشمس عليها فقط، ولا غربيّة بغروبها عليها فقط، بل هي شرقيّة غربيّة تأخذ حظّها من الأمرين، فهو أجود لزيتها. وقيل: معناه أنّها وسط البحر. وقيل: هي ضاحية

(١) الميزان ١٥: ١٣٤.

للشمس، وقيل: ليست من شجر الدنيا.

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ أي زيتها من صفائه وحسنه يكاد يضيء من غير أن تمسّه نار وتشتعل فيه[1].

وقوله: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف وهو ضمير راجع إلى نور الزجاجة المفهوم من السياق، والمعنى نور الزجاجة المذكور نور عظيم على نور كذلك أي في كمال الإشراق والتلمّع. وقيل: المراد من كون النور على النور هو تضاعف النور لا تعدّده، فليس المراد به أنّه نور معيّن أو غير معيّن فوق نور آخر مثله، ولا أنّه مجموع نورين اثنين فقط، بل إنّه نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه. وهذا التعبير شائع في الكلام كما في قوله: ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾[2].

وهذا معنى لا يخلو من جودة، وإن كان إرادة التعدّد أيضاً لا تخلو من لطف ودقّة، فإنّ للنور الشارق من المصباح نسبة إلى المصباح بالأصالة والحقيقة، فيقال نور المصباح، وهذا من الاستعمال الحقيقي، ونسبة إلى الزجاجة أيضاً التي على المصباح وهذه النسبة بالاستعارة والمجاز، فيقال نور الزجاج وهذا من الاستعمال المجازي، ويتغاير النور بتغاير النسبتين ويتعدّد بتعدّدهما، وإن لم يكن بحسب الحقيقة إلّا للمصباح، والزجاجة فللزجاجة بالنظر إلى تعدّد النسب نور غير نور المصباح وهو قائم بالمصباح ومستمدّ منه.

(١) التبيان ٧: ١٣٨.

(٢) الملك: ٣.

وهذا المعنى اللطيف والاعتبار الظريف جارٍ بعينه في الممثّل له والمشبّه به، فإنّه كما ذكرنا أنّ من مصاديق النور هو نور الإيمان والمعرفة، كما أنّ من أتمّ مصاديق المصباح كما سنذكر هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأنّ الزجاجة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ كما ورد في بعض الأحاديث ـ فنور أمير المؤمنين من نور رسول الله ونور الرسول من نور الله سبحانه، وخلق النور من النور.

فنور الإيمان والمعرفة نور مستعار مشرق على قلوب المؤمنين مقتبس من نوره تعالى قائم به، مستمدّ منه.

فقد تحصّل أنّ الممثّل له هو نور الله المشرق على قلوب المؤمنين، والمثل وهو المشبّه به النور المشرق من زجاجة على مصباح، موقد من زيت جيّد صاف وهو موضوع في مشكاة وكوّة غير نافذة، لا يضطرب بضرب الأرياح وتموّج الأهويّة. ثمّ نور المصباح المشرق من الزجاجة والمشكاة تجمعه وتعكسه على المستنيرين به، يشرق عليهم في نهاية القوّة والجودة.

فأخذ المشكاة للدلالة على اجتماع النور في بطن المشكاة، وانعكاسه إلى جوّ البيت، واعتبار كون الدهن من شجرة زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة، للدلالة على صفاء الدهن وجودته المؤثّر في صفاء النور المشرق عن اشتعاله وجودة الضياء، على ما يدلّ عليه كون زيته يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ـ أي كأنّه من كماله يظهر كماله، حتّى ولو لم يكن له تأثير من الخارج ـ واعتبار كون النور على النور للدلالة على تضاعف النور، أو كون الزجاجة مستمدّة من نور المصباح في إنارتها.

ولا يخفى أنّ هذه المعلومات ووجود الشبه، لها تأثير في بيان المصاديق

وأحوالها وحقائقها، يقف عليها الألمعي الذكي حين التطبيق.

وقيل: قوله ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ معناه: نور الهدى إلى توحيده، على نور الهدى بالبيان الذي أتى به من عنده، وقيل معناه: يضيء بعضه بعضاً، وقيل معناه: أنّه يتقلّب المؤمن في خمسة أنوار: فكلامه نور، وعلمه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومسيره نور إلى النور يوم القيامة إلى الجنّة. وقيل: ضوء النار على ضوء النور على ضوء الزيت على ضوء المصباح على ضوء الزجاجة.

وقوله: ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي يهدي الله لدينه وإيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفاً يختار عنده الإيمان إذا علم أنّ له لطفاً. وقيل: معناه يهدي الله لنبوّته من يشاء ممّن يعلم أنّه يصلح لها، إذا كان من أهل الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة، اختياراً من دون جبر وتفويض. وقيل: معناه ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ ﴾ أي يحكم بإيمانه لمن يشاء ممّن آمن به[1].

قال العلّامة الطباطبائي قدس سره: قوله تعالى: ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ استئناف يعلّل به اختصاص المؤمنين بنور الإيمان والمعرفة وحرمان غيرهم، فمن المعلوم من السياق أنّ المراد بقوله: ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ القوم الذين ذكرهم بقوله بعد: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾[2] إلى آخره، فالمراد بمن يشاء المؤمنون بوصف كمال إيمانهم.

والمعنى أنّ الله إنّما هدى المتلبّسين بكمال الإيمان إلى نوره دون

---

(١) التبيان ٧: ٤٣٨.

(٢) النور: ٣٧.

المتلبّسين بالكفر ـ الذين سيذكرهم بعد ـ لمجرّد مشيّته، وليس المعنى أنّ الله يهدي بعض الأفراد إلى نوره دون بعض بمشيّته ذلك، حتّى يحتاج في تتميمه إلى القول بأنّه إنّما يشاء الهداية إذا استعدّ المحلّ إلى الهداية بحسن السريرة والسيرة، وذلك ممّا يختصّ به أهل الإيمان دون أهل الكفر. فافهمه.

والدليل على ذلك ما سيأتي من قوله: ﴿ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[1] إلى آخر الآيات بالبيان الآتي إن شاء الله[2]. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

التفسير الروائي:

فما ذكرناه إنّما كان من تفسير الآية الشريفة مع رعاية الاختصار والإيجاز، وأمّا المذكور في تأويلها وتطبيقها ببيان المصاديق التامّة، فنقف عليه من خلال عرض جملة من الروايات الشريفة، وسوف نصل إلى حقيقة ساطعة، ألا وهي أنّ هذه الآية في باطنها تشير إلى خصوص الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام وهم أنوار الله المحدقون بعرشه، وهم فاطمة الزهراء وأبوها النبيّ وبعلها الوصيّ وبنوها الأئمّة الأحد عشر عليهم السلام[3].

(١) آل عمران: ١٨٩.

(٢) الميزان ١٥: ١٣٥.

(٣) وهذا هو المثلّث الفاطمي المبارك، فإنّه يتشكّل من خطّين عمودين ـ النبيّ والوصيّ ـ زاويتهما ترمز إلى التوحيد والسير إلى الله سبحانه، وخطّ أُفقي ـ الأئمّة الأطهار عليهم السلام ـ وهي القاعدة التي تقوم عليها النبوّة والإمامة.

١ ـ في تفسير القمّي بإسناده عن طلحة بن زيد، عن الإمام جعفر بن محمّد، عن أبيه الباقر عليهما السلام في هذه الآية ﴿ اللهُ نورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ قال: بدء بنور نفسه ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ مثل هداه في قلب المؤمن ﴿ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ والمصباح جوف المؤمن والقنديل في قلبه، والمصباح النور الذي جعله في قلبه. ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ قال: الشجرة المؤمن ﴿ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾ قال: على سواد الجبل لا غربيّة أي لا شرق لها، ولا شرقيّة أي لا غرب لها إذا طلعت الشمس طلعت عليها، وإذا غربت غربت عليها ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ يكاد النور الذي في قلبه يضيء وإن لم يتكلّم ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ فريضة على فريضة، وسنّة على سنّة ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يهدي الله لفرائضه وسننه من يشاء ﴿ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾، فهذا مثل ضربه الله للمؤمن. ثمّ قال: فالمؤمن يتقلّب في خمسة من النور: مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومسيره يوم القيامة إلى الجنّة نور، قلت لجعفر عليه السلام: إنّهم يقولون: مثل نور الربّ، قال: سبحان الله ليس لله مثل قال الله: ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلّهِ الأَمْثَالَ ﴾[1].

قال العلّامة الطباطبائي قدس سره: الحديث يؤيّد ما تقدّم في تفسير الآية، وقد اكتفى عليه السلام في تفسير بعض فقرات الآية بذكر بعض المصاديق كالذي ذكره في ذيل قوله: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ وقوله ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾[2].

(١) النحل: ٧٤.

(٢) الميزان ١٥: ١٥٢.

٢ ـ وفي التوحيد للشيخ الصدوق بإسناده: روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قوله الله عزّ وجلّ: ﴿ اللهُ نورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾، فقال: هو مثل ضربه الله لنا، فالنبيّ والأئمة صلوات الله عليهم من دلالات الله وآياته التي يهتدي بها إلى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والسنن والفرائض، ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

قال الطباطبائي قدس سره: الرواية من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق وهو من أفضل المصاديق وهو النبيّ صلى الله عليه وآله، والطاهرون من أهل بيته عليهم السلام، وإلّا فالآية تعمّ بظاهرها غيرهم من الأنبياء عليهم السلام والأوصياء والأولياء.

نعم، ليست الآية بعامّة لجميع المؤمنين لأخذها في وصفهم صفات لا تعمّ الجميع كقوله: ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ إلى آخره.

وقد وردت عدّة من الأخبار من طرق الشيعة في تطبيق مفردات الآية على النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وهي من التطبيق دون التفسير، ومن الدليل على ذلك اختلافها في نحو التطبيق كرواية الكليني في روضة الكافي.

٣ ـ الكافي بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام وفيها: أنّ المشكاة قلب محمّد صلى الله عليه وآله والمصباح النور الذي فيه العلم، والزجاجة علي أو قلبه، والشجرة المباركة الزيتونة التي لا شرقيّة ولا غربيّة إبراهيم عليه السلام ما كان يهوديّاً ولا نصرانيّاً، وقوله ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ إلخ: يكاد أولادهم أن يتكلّموا بالنبوّة، وإن لم ينزل عليهم ملك.

٤ ـ تفسير نور الثقلين بإسناده إلى يعقوب بن سالم عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل وفيه أنّ الله تعالى بعث أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة

النبيّ من يعزّيهم فسمعوا صوته ولم يروا شخصه، فكان في تعزيته: جعلكم أهل بيت نبيّه، واستودعكم علمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه وعصى غرّه، وضرب لكم مثلاً من نوره[1].

٥ ـ عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ قال: كذلك الله عزّ وجلّ، قال: قلت: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ قال: محمّد صلى الله عليه وآله. قلت: ﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾ قال: صدر محمّد صلى الله عليه وآله. قلت: ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ قال: نور العلم يعني النبوّة، قلت: ﴿ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾، قال: علم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قلب عليّ عليه السلام. قلت: ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ قال: لأي شيء تقرأ كأنّها؟ قلت: فكيف جعلت فداك؟ قال: (كأنّه) قلت: ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾ قال: ذاك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا يهودي ولا نصراني. قلت: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمّد من قبل أن ينطق به، قلت: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ قال: الإمام في أثر الإمام.

٦ ـ وبإسناده إلى عيسى بن راشد عن محمّد بن علي بن الحسين عليهما السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ قال: المشكاة نور العلم في صدر النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ الزجاجة صدر عليّ عليه السلام صار علم النبيّ إلى صدر عليّ، علّم النبيّ عليّاً عليه السلام ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ قال: نور العلم ﴿ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾ قال: لا يهوديّة ولا نصرانيّة

---

(١) نور الثقلين ٣: ٦٠٣.

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ قال : يكاد العالم من آل محمّد يتكلّم بالعلم قبل أن يسأل ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ يعني إماماً مؤيّداً بنور العلم والحكمة في أثر الإمام من آل محمّد، وذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله عزّ وجلّ خلفاء في أرضه وحججه على خلقه، لا تخلو الأرض في كلّ عصر من واحد منهم.

٧ ـ وبإسناده إلى جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ اللهُ نورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾ فالمشكاة صدر النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ والمصباح هو العلم ﴿ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ والزجاجة أمير المؤمنين عليه السلام وعلم نبيّ الله عنده.

٨ ـ في روضة الكافي بسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال في حديث طويل : ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وضع العلم الذي كان عنده عند الوصي، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ اللهُ نورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ يقول : أنا هادي السماوات والأرض مثل العلم الذي أعطيته، ونوري الذي يهتدى به (مثل المشكاة فيها المصباح) فالمشكاة قلب محمّد صلى الله عليه وآله، والمصباح النور الذي فيه العلم وقوله : ﴿ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ يقول : إنّي أُريد أن أقبضك فأجعل الذي عندك عند الوصيّ كما يجعل المصباح في الزجاجة ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ فأعلمهم فضل الوصيّ (توقد من شجرة مباركة) فأصل الشجرة المباركة إبراهيم صلى الله عليه وآله وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾[1]، وهو قول الله

(١) هود : ٧٣.

عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] ﴿ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾ يقول : لستم بيهود فتصلّوا قِبل المغرب، ولا نصارى فتصلّوا قِبَل المشرق، وأنتم على ملّة إبراهيم عليه السلام وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾[2]. وقوله : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يقول : مثل أولادكم الذين يولدون مثل الزيت الذي يعصر من الزيتون ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يكادون أن يتكلّموا بالنبوّة وإن لم ينزل عليهم ملك.

٩ ـ في أمالي الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الصادق عليه السلام حديث طويل يقول فيه : أنا فرع من فروع الزيتونة، وقنديل من قناديل بيت النبوّة، وأديب السفرة ورِبيب الكرام البررة، ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور، وصفو الكلمة الباقية في عقب المصطفين إلى يوم الحشر.

١٠ ـ قال عليّ بن إبراهيم رحمه الله في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ اللهُ نورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فإنّه حدّثني أبي عن عبد الله بن جندب قال : كتبت إلى أبي الحسن الرضا صلوات الله عليه أسأله عن تفسير هذه الآية ؟ فكتب إليّ الجواب : أمّا بعد فإنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله

(١) آل عمران : ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) آل عمران : ٧٤.

في خلقه، فلمّا قبض النبيّ كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أُمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب ومولد الإسلام، وما من فئة تضلّ مائة وتهدي مائة إلّا ونحن نعرف سائقها وقائدها وناعقها، وإنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله عزّ وجلّ علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة، نحن الآخذون بحجزة نبيّنا ونبيّنا الآخذ بحجزة ربّنا، والحجزة النور وشيعتنا آخذون بحجزتنا، من فارقنا هلك ومن تبعنا نجى، والمفارق لنا والجاحد لولايتنا كافر، ومتّبعنا وتابع أوليائنا مؤمن لا يحبّنا كافر ولا يبغضنا مؤمن، فمن مات وهو يحبّنا كان حقّاً على الله أن يبعثه معنا، نحن نور لمن تبعنا وهدى لمن اهتدى بنا، ومن لم يكن منّا فليس من الإسلام في شيء، بنا فتح الله الدين، وبنا يختمه، وبنا أطعمكم عشب الأرض، وبنا أنزل الله قطر السماء، وبنا آمنكم الله عزّ وجلّ من الغرق في بحركم، ومن الخسف في برّكم، وبنا نفعكم الله في حياتكم وفي قبوركم وفي محشركم وعند الصراط وعند الميزان وعند دخولكم الجنان، مثلنا في كتاب الله عزّ وجلّ (كمثل المشكاة) المشكاة في القنديل فنحن المشكاة ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ المصباح محمّد صلى الله عليه وآله ﴿ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ من عنصره ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ (توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة) لا دعيّة ولا منكرة ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ القرآن ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ إمام بعد إمام ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فالنور عليّ صلوات الله عليه، يهدي لولايتنا من أحبّ، وحقّ على الله أن

يبعث وليّنا مشرقاً وجهه، منيراً برهانه، ظاهرة عند الله حجّته، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

المشكاة فاطمة الزهراء عليها السلام :

١١ ـ في أُصول الكافي بسنده عن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾ فاطمة عليها السلام ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ الحسن ﴿ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ الحسين ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ فاطمة كوكب درّي بين نساء أهل الدنيا (توقد من شجرة مباركة) إبراهيم عليه السلام ﴿ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾ لا يهوديّة ولا نصرانيّة ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يهدي الله للأئمة عليهم السلام من يشاء ﴿ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ والحديث طويل وفيه في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ ﴾[1] قال: الأوّل وصاحبه ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ ﴾ الثالث ﴿ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ﴾ ظلمات الثاني ﴿ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ معاوية لعنه الله وفتن بني أُميّة ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ ﴾ المؤمن في ظلمة فتنتهم ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً ﴾ إماماً. من ولد فاطمة عليها السلام ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ إمام يوم القيامة[2].

١٢ ـ في الدرّ المنثور: أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قالا:

---

(١) النور: ٤٠.

(٢) نقلنا الروايات من تفسير نور الثقلين ٣: ٦٠٢ ـ ٦١١.

قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾[١]، فقام إليه رجل فقال : أيّ بيوت هذه يا رسول الله ؟ قال : بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله هذا البيت منها لبيت عليّ وفاطمة ؟ قال : نعم من أفاضلها[٢].

١٣ ـ عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، قال : هي بيوت الأنبياء وبيت عليّ عليه السلام منها.

١٤ ـ عن مناقب ابن شهرآشوب بسنده عن أبي حمزة الثمالي : لمّا كانت السنة التي حجّ فيها أبو جعفر محمّد بن عليّ ولقيه هشام بن عبد الملك أقبل الناس يتسائلون عليه فقال عكرمة : من هذا ؟ عليه سيماء زهرة العلم لأُقرينه، فلمّا مثل بين يديه ارتعدت فرائصه، وأُسقط في أيدي أبي جعفر عليه السلام وقال : يا بن رسول الله، لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره، فما أدركني ما أدركني آنفاً، فقال له أبو جعفر عليه السلام : ويلك يا عبيد أهل الشام، إنّك بين يديي بيوتٍ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

١٥ ـ في زيارة الجامعة الكبرى : خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتّى منّ علينا بكم فجعلكم الله ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ ﴾.

١٦ ـ في تفسير عليّ بن إبراهيم بسنده عن صالح بن سهل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ ﴾[٣] فلان وفلان،

(١) النور : ٣٦.

(٢) الميزان ١٥ : ١٥٣.

(٣) النور : ٤٠.

﴿ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ ﴾، يعني نعثل ﴿ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ﴾ طلحة والزبير، ﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ معاوية ويزيد وفتن بني أُميّة ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ ﴾ في ظلمة فتنتهم ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً ﴾ يعني إماماً من ولد فاطمة عليها السلام ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾، فما له من إمام يوم القيامة يمشي بنوره كما في قوله تعالى : ﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾[١] قال : إنّما المؤمنون يوم القيامة نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتّى ينزلوا منازلهم من الجنان[٢].

١٧ ـ البحار بسنده عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قال : مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة فنحن المشكاة، والمشكاة الكوّة فيها مصباح، والمصباح في زجاجة، والزجاجة محمّد صلى الله عليه وآله، كأنّه كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة قال : عليّ عليه السلام ﴿ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ القرآن ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يهدي لولايتنا من أحبّ[٣].

١٨ ـ ابن المغازلي الشافعي بإسناده إلى الحسن قال : سألته عن قول الله تعالى : ﴿ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ قال : المشكاة فاطمة عليها السلام والمصباح الحسن

(١) الحديد : ١٢.

(٢) نور الثقلين ٣ : ٦١٢، وراجع البحار ٢٣ : ٣٠٤، الباب ١٨ أنّهم أنوار الله وتأويل آيات النور فيهم عليهم السلام وفي الباب ٤٢ رواية.

(٣) المصدر : ٣١.

والحسين عليهما السلام و ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ كانت فاطمة عليها السلام كوكباً درّياً من نساء العالمين ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ الشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام ﴿ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾ لا يهوديّة ولا نصرانيّة ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ قال : يكاد العلم أن ينطق منها ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ قال : ابنها إمام بعد إمام ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال : يهدي لولايتهم من يشاء[1].

والحمد لله الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء وأبيها وبعلها وبنيها الأئمة المعصومين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

(١) البحار ٢٣ : ٤١٦، عن الطرائف : ٣٣، وإحقاق الحقّ ٣٠ : ٤٥٨.

المحاضرة الرابعة

الحمد لله فاطر السماوات والأرض، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وآله.

وبعد :

فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام : المشكاة فاطمة.

لا يخفى أنّ مصدر التشريع الإسلامي ومنبع معارفنا وثقافتنا الشيعيّة إنّما هو القرآن الكريم والأحاديث الشريفة الصادرة عن معدن العلم والوحي، أي عن

(١) النور : ٣٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته أهل بيته الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

وإذا أردنا أن نعرف مقامات القرآن الكريم ومنازل أهل البيت وأئمّة الحقّ، ونقف على عظمتهم وشموخهم، فإنّما يتمّ ذلك عندما نرجع إلى مصادر علومنا وثقافتنا، أي إلى الثقلين القرآن الكريم (كتاب الله) وسنّة الرسول والعترة الطاهرة عليهم السلام.

وحينما نجثو الركاب في رحاب آيات القرآن الكريم ليحدّثنا عن عظمة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، نرى الله سبحانه يعرّفها بأجمل تعبير وأدقّ مفهوم وأعمق معنى، حيث يعرّفها في سورة النور وآيته بأنّها المشكاة التي ضمّت في حقيقتها الأنوار النبويّة والولويّة.

والمشكاة لغةً: كوّة غير نافذة[1]. وكلّ ما يوضع فيه أو عليه المصباح[2]، ومنه الرفّ الذي يكون بين الحمّام والمنزع[3] في الحمّامات القديمة حيث يوضع فيه المصباح والسراج لينير الحمّام من جانب، ومن جانب آخر ينير المنزع أي الموضع الذي ينزع فيه الثياب، فالرفّ هو الكوّة غير نافذة.

من خواصّ آية النور:

وأمّا آية النور فقد ذكر علماء الحروف والأوفاق وأرباب الختومات

(١) مفردات الرغب: ٢٧٣.

(٢) المنجد: ٣٩٩.

(٣) الحمّام معروف، وهو مكان الغسل والتنظيف الجسدي، وأمّا المنزع فهو مكان نزع وخلع الثياب، وذلك قبل دخول الحمّام.

والأوراد والأذكار أنّ لهذه الآية الشريفة خواصّ كثيرة منها قضاء الحوائج ونورانيّة الباطن والقلب والوقوف على أسرار الكون، ومنها يتوفّق للقاء صاحب الأمر عليه السلام في اليقظة أو المنام، فمن صلّى على محمّد وآله خمس مرّات ثمّ قرأ آية النور أربعة عشر مرّة، ثمّ صلّى خمساً أُخرى، وقام بالختم لمدّة أربعين يوماً، فإنّه يلتقي بمولانا الإمام المنتظر الحجّة بن الحسن عليه السلام في المنام أو اليقظة.

فالآية الكريمة من عجائب القرآن المجيد.

وفي تأويلها روايات كثيرة وإنّها مختصّة بالأربعة عشر معصوم عليهم السلام كما في تفسير نور الثقلين وتفسير البرهان وتفسير عليّ بن إبراهيم القمّي وفي بحار الأنوار، وقد ذكرنا طائفة منها.

بلاغة القرآن المجيد:

ومن بلاغة القرآن الكريم أنّ أُسلوبه ولغته إنّما نزل على (إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة) وأنّ (الكناية أبلغ من التصريح) وضرب الأمثال للناس لعلّهم يتذكّرون ويتفكّرون ويتعقّلون، فمن هذا المنطق نرى الإشارة إلى الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً ﴾[1]، كما ورد في الأخبار الشريفة، وكذلك الأمر في الآيات الأُخرى في إمامتهم وولايتهم ومعرفتهم.

(١) التوبة: ٣٦.

فالله سبحانه نور الأنوار ومنوّر النور، وإنّه نور السماوات والأرض، وفي مقام تمثيل وتصوير وتجسيم هذا النور الأتمّ المجرّد، وأنّه يتجلّى في أشرف خلقه محمّد وآله الطاهرين عليهم السلام، فإنّ الله واجب الوجود لذاته في ذاته بذاته، سبحانه مجرّد مستجمع لجميع صفات الجمال والجلال والكمال، إلّا أنّه يتجلّى بأسمائه وصفاته في خلقه، وجامع الجمع لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا هو الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله فهو الصادر الأوّل والإنسان الكامل والروح الأعظم، وإنّ الله سبحانه أوّل ما خلق نوره الأقدس فهو المصباح، إلّا أنّ هذا المصباح النبوي والذي زجاجه أمير المؤمنين علي عليه السلام إنّما هو في مشكاة وهي فاطمة الزهراء عليها السلام.

فتعريف النبيّ والوصيّ ومعرفة النبوّة والإمامة إنّما هو بفاطمة الزهراء عليها السلام كما في حديث الكساء الشريف، فعندما تسأل الملائكة ربّ العالمين عمّن تحت الكساء، فيأتي الخطاب من مصدر الجلالة (هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها)، فإنّها عليها السلام تجمع الأنوار النبويّة والعلويّة، وإنّها بنت النبيّ وزوج الوصيّ وأُمّ الأئمة النجباء عليهم السلام.

السرّ في مشكاتيّة فاطمة الزهراء عليها السلام :

وإنّما عبّر سبحانه عن فاطمة بالمشكاة للطيفتين : الجامعيّة و (الشموليّة) والمانعيّة و (الحافظيّة).

أمّا الأُولى :

فإنّ العرب من أجل أن لا تطفأ شعلة السراج أو الفانوس أو المصباح، فإنّه

يضعونه في بيت زجاجي حفاظاً عليه، ثمّ يوضع في الكوّة والمشكاة. ليضيء الأطراف، أو الجانبين من الحمّام والمنزع ـ كما ذكرنا ـ والضوء تارة يعبّر عنه بالسراج وأُخرى بالمصباح. والثاني أكثر ضوءاً من الأوّل، فما كان فيه النور الساطع بحيث يطرد الظلام، ويجعل الموضع كالصبح من أثر الضوء، فإنّه يسمّى بالمصباح، فالنبيّ هو المصباح كما أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو المصباح (حسين منّي وأنا من حسين) وإنّه كتب على عرش الله بلون أخضر (إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)[1] وفي زيارة الجامعة الكبرى عبّر عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بمصابيح الدجى وأنّ الله خلقهم أنواراً فجعلهم بعرشه محدقين[2]. فلا ليل ولا ظلام فيهم، بل وجودهم وحياتهم نور يطرد الظلام والسواد.

عن الإمام الصادق عليه السلام : والله إنّ أمرنا هذا ـ أي الإمامة والولاية ـ أوضح من نور الشمس.

فهؤلاء الأئمة عليهم السلام إنّما هم أنوار قدسيّة ومصابيح إلهيّة، ومن لم يرهم فإنّما في عينه الرمد، وإنّه أعمى القلب. كمن لا يرى الشمس ونورها لعمى فيه.

ثمّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هو زجاج هذا المصباح النبوي، فإنّ الزجاجة من خصائصها أنّها تعكس النور، وتحفظ شعلة المصباح من الأرياح وممّا يوجب

---

(١) ذكرت شرح هذا الحديث الشريف في ثلاثمائة صفحة في كتاب (الإمام الحسين في عرش الله) في المجلّد السادس من موسوعة (رسالات إسلاميّة)، مطبوع، فراجع.

(٢) لقد تعرّضنا إلى خلق الأئمة النوراني في كتاب (الأنوار القدسيّة) وهو مطبوع في المجلّد السابع من موسوعة (رسالات إسلاميّة)، فراجع.

إطفاؤه، فالإمامة والخلافة الحقّة المتمثّلة بعلي وأولاده الطاهرين تحفظ لنا خطّ النبوّة عن الانحراف والاضمحلال وإطفاء نوره وخمود ضوئه، وتنشره في العالم التكويني والتشريعي. والزجاجة الثانية في قوله تعالى إشارة إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، والكوكب إلى الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام، والدرّي إلى الإمام السجّاد زين العابدين عليّ بن الحسين، وهكذا إلى قوله تعالى ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ ﴾ ـ أي للإمام المهدي القائم من آل محمّد عليهم السلام ـ ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من عباده.

ثمّ يضرب الله الأمثال للناس لعلّهم يتفكّرون ويتعقّلون، فإنّه جلّ جلاله ضرب مثلاً لنوره كالمشكاة التي فيها المصباح، ثمّ أخبر مرّة أُخرى أنّ هذه المشكاة بما فيها من الأنوار القدسيّة إنّما هي في بيوت أذن أن ترفع شأنها ويعلو مقامها ويذكر فيها اسمه، فقال سبحانه: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ أي نور الله الذي كالمشكاة فيها مصباح يكون في هذه البيوت الذي أذن الله أن ترفع أقدارها وتعظم ساكنيها. وإنّها بيوت الأنبياء والأوصياء والعلماء الصالحين، وأنّ من أفاضلها بيوت محمّد وآل محمّد عليهم السلام.

لماذا فاطمة الزهراء مشكاة الأنوار:

أمّا إنّه لماذا عرّف الله سبحانه صفيّته ومظهر عصمته وطهارته فاطمة الزهراء عليها السلام بالمشكاة؟ إذ أنّ كمال النبيّ الجامع لجماله وجلاله ـ أي الصفات الجماليّة والصفات الجلاليّة ـ إنّما يتجلّى في فاطمة الزهراء عليها السلام، فكما أنّ سلامة المصباح وحفاظه في المشكاة، فكذلك النبيّ بصفاته الكماليّة إنّما هو في فاطمة

الزهراء عليها السلام.

وما أروع مقوله الخميني قدس سره أنّه لو كان بعد النبيّ نبيّاً لكانت فاطمة، فإنّه إشارة إلى هذا المعنى كما يقول الشاعر:

هي أحمد الثاني.

وإذا عرّف شخص في خطاباته وبياناته شخصاً آخر بمثل هذه التعابير: أنّه بضعة النبيّ، نور عيني، بهجة قلبي، روحي التي بين جنبَيّ...

فإنّه من مجموع هذه الأوصاف والحكايات نستنتج أنّ ذلك الشخص إنّما هو من وجوده الخاصّ، كما ورد في حديث الكساء (هم منّي وأنا منهم) وورد (يؤلمني ما يؤلمهم، ويسرّني ما يسرّهم).

يقول فخر الرازي إمام المشكّكين في تفسير آية التطهير: إنّ أهل البيت يساوون النبيّ في خمس صفات، منها: الطهارة، فالنبيّ طاهر كما في قوله تعالى: ﴿ طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾[1]، أي يا طاهر، وكذلك أهل البيت عليهم السلام يشتركون ويساوون النبيّ في طهارته ونزاهته وعصمته.

فاطمة الزهراء روح النبيّ:

وقد عبّر النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله عن فاطمة الزهراء أنّها (روحي التي بين جَنبَيَّ) وقد ذُكر لهذا الحديث الشريف معانٍ عديدة:

منها: أنّ الله سبحانه لمّا خلق روح النبيّ، فإنّه بعد تولّدها امتازت بالعلم

(١) طه: ١ ـ ٢.

والعمل، أي بالعلم اللدنّي منه سبحانه، وبالعبادات، فاتّصل روح النبيّ بالعلم والعمل، والزهراء إنّما هي روح النبيّ صلى الله عليه وآله متّصلاً بجنبي العلم والعمل.

ومنها: كان للنبيّ جنبتان: الرسالة والولاية التكوينيّة والتشريعيّة، فإنّه يجري الحدود الإلهيّة بولايته، فظاهره النبوّة وباطنه الولاية ـ كما ورد في الحديث النبوي الشريف ـ وفاطمة الزهراء عليها السلام هي الروح النبوي التي تجمع الرسالة السماويّة السمحاء والولاية الإلهيّة العلياء.

وكما ورد في الحديث الشريف: لقد كانت مفروضة الطاعة على جميع ما خلق الله من الجنّ والإنس والملائكة والأنبياء حتّى الوحوش، ففي عالم الأنوار والعناصر إذا أمرت فاطمة عليها السلام، فإنّه يجب على الجميع إطاعتها، فإنّ رضا الله في رضاها، كما أنّ رضاها في رضا الله، وإنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها، وهذا من الولاية الكلّية التكوينيّة التي كانت للنبيّ صلى الله عليه وآله.

ومنها: أنّ النبيّ كان يمتاز بجانبي الملكوت والناسوت، فإنّه بشر، إلّا أنّه يوحى إليه ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾[1]، فإنّه واسطة فيض بين الخالق والمخلوق، فأُذنه السامع للوحي ولسانه الناطق للخلق، فيجمع بين العالم الملكوتي والعالم الناسوتي، وفاطمة الزهراء عليها السلام هي الروح النبويّة بين جنبي الملكوت والناسوت.

فهي عليها السلام المشكاة، أي الجامعية التي كانت في النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله إلّا النبوّة.

(١) الكهف: ١١٠.

الإسلام دين العلم والعمل:

الإسلام إنّما هو دين العلم والمحاسن، والازدهار والتطوّر والتمدّن والحضارة، فما أكثر النصوص الساطعة والبراهين القاطعة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تنصّ على هذا الأُمور، فإنّ الإسلام العظيم يدعو معتنقيه إلى الفقه والعلم كما يحثّهم إلى أن يتحلّوا بالفضائل والمكارم والصفات الحميدة والأخلاق الطيّبة، بعد أن يهذّبوا أنفسهم، ويخلوا وجودهم من الرذائل والسجايا الذميمة والأخلاق السيّئة.

أمير المؤمنين جلالة الفقه:

في يوم من الأيام طلب النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله من عبد الله بن مسعود أن يعلّم أعرابيّاً ـ دخل في الإسلام جديداً ـ القرآن الكريم، فما أن قرأ له سورة الزلزال وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ﴾[1]، قال الأعرابي: كفاني هذا، فإنّ هذا الدين يدعو إلى الخير والاجتناب عن الشرّ، فرجع إلى قومه مسلماً صالحاً، وقال النبيّ في حقّه: جاء أعرابيّاً ورجع فقيهاً.

والفقه لغةً: بمعنى الفهم، والفهم يرادف العلم أو يلازمه، ويسمّى بالفقه الأكبر.

واصطلاحاً عند فقهاء الإسلام: الفقه يعني استنباط الأحكام الشرعيّة

(١) الزلزال: ٧.

الفرعيّة عن أدلّتها التفصيليّة، ويسمّى بالفقه الأصغر، والأوّل واجب عيني[١]، والثاني واجب كفائي.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لو كان الفقه رجلاً لكان عليّاً عليه السلام.

وهذا يعني أنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام جمع الفقه كلّه، فإنّ بداية الفقه كان عند آدم عليه السلام، ثمّ تدرّج في الأنبياء والأوصياء والأولياء والصلحاء، إلّا أنّه قد جُمع كلّه في عليّ عليه السلام.

كما ورد في الحديث النبويّ الشريف ـ عند السنّة والشيعة: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوحه في حلمه... ـ. فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقد جمع أوصاف الأنبياء وعلومهم ومعارفهم وجسّد الفقه الأكبر والأصغر.

في الحديث النبويّ الشريف: ولولا عليّ لم يكن لفاطمة الزهراء كفؤ، آدم ومن دونه.

فإنّها تساويه وتكافئه في الفضائل والمحامد.

فاطمة الزهراء حُسن الله:

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ولو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة بل هي أعظم.

(١) إذ يجب على كلّ مسلم بالغ أن يفهم دينه ويتعلّم المسائل التي يبتلى بها، فإنّ العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة.

فإذا كان عليّ عليه السلام هو الفقه والعلم، فإنّ فاطمة هي الحسن والجمال، فإنّها تجمع جميع المحاسن سواء الاعتقاديّة أو الأخلاقيّة أو العباديّة أو العقلائيّة أو العقليّة، وكلّ ما كان في وجود الأنبياء والأوصياء والأولياء والملائكة، وفي السماوات والأرضين، وفي الطبيعة وما ورائها، فإنّ الحسن المطلق ومطلق الحسن وهو الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا يتجلّى جماله وحسنه في فاطمة الزهراء عليها السلام.

فلو جمع الله المحاسن والجمال كلّه في شخص ثمّ نفخ فيه من روحه، فإنّه يكون فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

ولا غرو فإنّ هذا التعبير الدقيق ورد في حقّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام كما في زيارة الجامعة الكبرى التي هي من أصحّ الزيارات سنداً ودلالة، وفيها: (والحقّ معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه وميراث النبوّة عندكم).

فكلّ ما نزل به الملائكة على الأنبياء فإنّه مخزون عند الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وأيّ حُسن يذكر من العلم والحلم والكرم، وأيّ صفة حسنة في العوالم كلّها، فإنّ أصله وأوّله ومنتهاه عندهم عليهم السلام.

«إن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه»[١].

فهم معدن الخير وأصله ومنتهاه، فجذور جميع الخيرات وأُصول المحاسن كلّها والشموخ والعظمة إنّما هي في الأئمّة عليهم السلام، وما عندهم إنّما هو من أُمّهم

(١) زيارة الجامعة ـ مفاتيح الجنان.

فاطمة الزهراء التي هي مشكاة مصابيح الهدى. كما ورد في تأويل قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

قال الإمام الصادق: الحبّة هي فاطمة الزهراء صلّى الله عليها، والسبع السنابل سبعة من ولدها سابعهم قائمهم[2]. وسبع سنايل هم الأئمة السبعة من أولادها بدءاً من الإمام الصادق وحتّى الإمام المهدي عليهم السلام وإنّما خصّ هؤلاء مع أنّ الحسن والحسين من سنابلها أيضاً؛ لأنّ علوم الزهراء ومحاسنها إنّما اشتهرت وانتشرت في عصر الإمام الصادق وإلى يومنا هذا.

وإذا لم تكن الحبّة فكيف يكون الزرع؟ وكيف يكون عمل الزارع وفلاحته؟ فالزهراء حبّة، وقد زرعها الله سبحانه وسقاها محمّد صلى الله عليه وآله ورعاها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، والأئمة الأطهار من أولادها إنّما هم سنابلها الطيّبة، وكلّ بركة في السنبل إنّما يرجع إلى أصله، أي يكون من الحبّة، فالبركات كلّها من المباركة الطاهرة المطهّرة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، والأئمّة وذرّيتها وشيعتها يرثونها في كلّ حسن وفضيلة وخير، فلو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة بل هي أعظم. إذ أنّها تخلق الحُسن أيضاً فلا تعادل وتساوي الحسن وحسب بل تبدع وتخلق الحسن وتفطم محبّيها عن الرذائل وعن جهنّم، كما ورد في وجه تسميتها بفاطمة إنّها تفطم محبّيها من نار جهنّم وتلتقطهم في المحشر كما يلتقط

(١) البقرة: ٢٦١.

(٢) تفسير البرهان ١: ٢٥٣.

الطير الحبّ الجيّد من الحبّ الرديء، فتحفظ شيعتها من الرذائل، إذ أنّها مظهر الحسن والجمال الإلهي.

فاطمة الزهراء أُمّ المحاسن:

إنّها أُمّ الحسن والحسين والمحسن عليهم السلام، وإنّها أُمّ زينب التي هي زينة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام فيتجلّى الحسن الفاطمي الإلهي في أولادها الأبرار الأئمة الأطهار عليهم السلام.

فالزهراء مشكاة المحاسن والفضائل يتجلّى فيها المصابيح الإلهيّة، وإنّ الله سبحانه في سورة النور عرّف الظرف أوّلاً ثمّ المظروف من باب (ثبّت الأرض ثمّ انقش)، فعرّف فاطمة الزهراء بأنّها المشكاة، ثمّ نبيّه الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله بأنّه المصباح، وهكذا الأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام مصابيح الهدى.

فما أجمل التعبير القرآني في توصيف فاطمة الزهراء عليها السلام، عبّر عنها بالمشكاة كما عبّر عن نبيّه بالمصباح، وعن وليّه بالزجاجة، فيعني أنّها تضمّ بين حناياها وفي وجودها الكمالات النبويّة والمعالي الولويّة، فإنّها تجمع كلّ أبعاد الشخصيّة الإسلاميّة ورسالات السماء التي جاء بها النبيّ وحفظها الوصيّ، فالمصباح ونوره الإلهي الساطع يتجلّى فيها ليضيء العالم والأجيال إلى يوم القيامة، فالزهراء يعني رسول الله وقرآنه وعترته الأطهار عليهم السلام.

وقد ورد في تأويل وتفسير سورة القدر أنّ الليلة فاطمة الزهراء عليها السلام، فصدرها الشريف وقلبها الطاهر وعاء لنزول القرآن فيه، فأنزل الله القرآن ناطقاً بفضائلها، كما أنزله ليكون ظرفه فاطمة الزهراء عليها السلام، فحبيبة المصطفى ومهجة

قلبه إنّما هي ظرف لأبيها وبعلها وبنيها عليهم السلام، إنّما هي وعاء للقرآن الكريم في تأويله وتنزيله وظاهره وباطنه وعلومه ومعارفه، فهي ليلة القدر قد جُهل قدرها وفضلها ومقاماتها[١].

إنّ الحسن كلّه والجمال الإلهي إنّما يتشخّص فيها، بل هي أعظم، وفي بيان عظمتها وجوه:

منها: أنّها أشرف عنصراً، فإنّ البشر من آدم ومن دونه إنّما خلقوا من تراب، إلّا فاطمة فإنّها حوراء إنسيّة، وإنّما كانت حوراء كحور الجنّة إذ انعقد نطفتها من فاكهة الجنّة ـ كما ورد في كثير من الأحاديث الشريفة ـ فهي أفضل عنصراً، فإنّ عنصرها من الجنّة، وكان النبيّ يقبّل صدرها الشريف ويقول: إنّه أشمّ منه رائحة الجنّة.

فوجودها مشكاة الأنوار الإلهيّة، وإنّها عصمة الله الكبرى ووعاء لمقدّرات الله ومشيّته وقرآنه الناطق، وهذا من شموليّتها وسعتها الوجودي. وهو المقصود من اللطيفة الأُولى في مفهوم المشكاة.

اللطيفة الثانية:

ثمّ من خصائص المشكاة أنّها تحفظ المصباح من خطر الأرياح والخمود والإطفاء، وكأنّما أراد الله سبحانه أن يقول: إنّ النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وإن كان في خطر المشركين والكفّار والمنافقين، وكذلك الخلافة والإمامة الحقّة من بعده،

(١) ذكرت تفصيل ذلك في رسالة (فاطمة الزهراء ليلة القدر) مطبوع في موسوعة (رسالات إسلاميّة) المجلّد السابع.

فيريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، إذ النور تارةً يخمد بالحروب الضارية والأسلحة الفتّاكة وأُخرى بالكلام، فيريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، إلّا أنّ الله سبحانه متمّ نوره ولو كره المشركون والمنافقون، فإنّه يحفظ هذا النور النبوي والولوي ـ المنسوب إلى أولياء الله وهم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام ـ في مشكاة وكوّة، فالله متمّ نوره ـ وهو عليّ عليه السلام وأبناءه وولايتهم والنبيّ ورسالته ـ بفاطمة الزهراء عليها السلام، فهي مشكاة الأنوار القدسيّة، ولولاها لأطفأ أعداء الله أنوار الرسالة والإمامة.

ثمّ في الحديث الشريف في وصف النبيّ وعترته الأطهار وشيعتهم الأبرار بالشجرة وأغصانها وأوراقها.

عن الإمام الباقر عليه السلام:

الشجرة الطيّبة: رسول الله صلى الله عليه وآله وفرعها عليّ عليه السلام، وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام، وثمرها أولادها، وأوراقها شيعتنا[١].

فعنصر هذه الشجرة المباركة الثابت أصلها هي فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي الماء الحيّ، ولولاها لما اخضرّت الشجرة وأينعت وأثمرت، فحياتها وثمراتها بعنصرها، فلولا فاطمة ليبست شجرة النبوّة ودوحة الإمامة، ولما اخضرّت ولا أينعت ولا أثمرت. وهذا من سرّ الوجود[٢].

فقام الإسلام ببركة الزهراء في وجودها الملائكي، وفي سيرتها المعصومة، وبخطاباتها وجهادها وجهودها.

(١) مجمع البحرين ٢: ٩٣١.

(٢) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (فاطمة الزهراء سرّ الوجود) مطبوع.

ثمّ القرآن الكريم فيه آيات محكمات وأُخر متشابهات، وإنّما تعرف وتبيّن المتشابهات بالرجوع إلى المحكمات فهي البراهين الساطعة والأدلّة القاطعة التي لا نقاش في الاستدلال بها.

الاستدلال بسورة القدر على الإمامة :

ومن المحكمات سورة القدر، فإنّها من أوضح الأدلّة وأفحم الحجج مع الخصوم الذين أنكروا الإمامة الحقّة المتمثّلة بأهل البيت والعترة الطاهرة عليهم السلام، كما أوصى الأئمة عليهم السلام أن يحتجّوا بها مع الخصم، بأن يسألونهم أوّلاً : هل ليلة القدر ليلة واحدة في طول عمر الدنيا أو أنّها في كلّ سنة ؟ بلا ريب سيقول في كلّ سنة، فتسألوهم ثانيةً : هل نسخت هذه السورة ؟ سيقولون بلا شكّ إنّها لم تنسخ، فتسألون ثالثة : على من تتنزّل الملائكة والروح في كلّ سنة وفي ليلة القدر وبيدهم المقدّسات ؟

فلا يتمّ الجواب إلّا على مذهب الحقّ القائل بالإمامة والأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، وآخرهم قائمهم الإمام المهدي الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام، وأنّه حيّ يرزق، بوجوده ثبت الأرض والسماء، وبيمنه رزق الورى.

وبهذا يتثبّت الإمامة والعصمة في كلّ زمان.

وسيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء هي المشكاة، وهي ليلة القدر والآية المحكمة الدالّة على النبوّة والإمامة، والحافظة لنورهما إلى يوم القيامة.

ومضة من الاستدلال على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام :

ومن الأدلّة الفاطميّة التي نحتجّ بها على خلافة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

بلافصل لرسول الله صلى الله عليه وآله أنّه ورد في الحديث النبوي المتواتر عند الفريقين السنّة والشيعة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة، ميتة كفر ونفاق، فحينئذٍ نسأل خصومنا في الخلافة بلا فصل أنّ الزهراء بنت رسول الله ارتحلت إلى جوار ربّها بعد أبيها، فهل عرفت إمام زمانها ؟

لا يخلو إمّا أن يقول الخصم : لم تعرف إمام زمانها، وهذا من أقبح الأقوال في شأن فاطمة الزهراء عليها السلام، لم يتفوّه به مسلم ومسلمة قطّ على طول التاريخ ومدى الزمان.

وإمّا أن يقول : كانت عارفة بإمام زمانها، وحينئذٍ لم يكن إمام زمانها أبو بكر إذ ماتت وهي واجدة وغاضبة عليه ـ كما في صحيح البخاري ـ كما أنّها أعرضت بوجهها الشريف حين زيارته إيّاها، وكانت تدعو عليه، وإنّها لم ترضَ عنه، فهذا يعني أنّها غاضبة على إمام زمانها وهذا يقدح بطهارتها وعصمتها الثابت بآية التطهير. فلا مفرّ إلّا القول أنّها كانت عارفة بإمام زمانها وهو بعلها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ولهذا دافعت عنه وجاهدت في سبيله، وكانت تخرج بولديها الحسن والحسين إلى دور الأنصار والمهاجرين تستنصرهم في النهوض ضدّ الطغاة والغاصبين خلافة أبيها لبعلها.

إنّها قاومت الظلم وقارعت الطغاة بخطاباتها الثوريّة وكلماتها الحماسيّة في مسجد أبيها أمام المسلمين الذين انقلبوا على أعقابهم.

أجل، حينما جمع عمر بن الخطّاب وجلاوزته الحطب ليشعل النار في دار الزهراء عليها السلام، وقالوا له : إنّ فيها فاطمة ؟ قال : وإن، فهي التي خرجت خلف الباب حفاظاً على أمير المؤمنين إذ هو زجاج المصباح النبوي الذي يعكس نور

النبوّة من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، فلاذت خلف الباب وكسر ضلعها وأُسقط جنينها، وخرجت إلى المسجد لتحامي عن الإمامة والولاية، إذ أنّها المشكاة الحافظة، تحفظ النبوّة والوصاية سويّةً من أخطار الكفر والشرك والنفاق.

من أوصاف الزهراء عليها السلام :

ورسول الله شمس الأُمّة وعليّ عليه السلام قمرها، وقال رسول الله : إذا غاب القمر فاقتدوا بالزهرة، فسأل الأصحاب : ومن الزهرة ؟ فقال صلى الله عليه وآله : ابنتي فاطمة الزهراء...

فإنّها قدوة الأحرار والثوّار المؤمنين جيلاً بعد جيل، إذ أنّها المشكاة...

ثمّ عليّ ميزان الأعمال، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسن والحسين عليهما السلام : وأنتما كفّتا الميزان وأُمّكما فاطمة لسان الميزان، فالإمامة ميزان الحقّ، إلّا أنّ معرفة الميزان وقسطه يعلم بلسانه. فهو الذي ينطق بالحقّ ويدافع عن الميزان، ولسان الميزان فاطمة الزهراء عليها السلام.

وإنّها أُمّ أبيها، ومن معاني الأُمّ أنّها تحفظ بنيها من الضياع، وفاطمة الزهراء تحفظ رسالة أبيها ولو بثمن شهادة جنينها وضرب وجهها واحمرار عينها وكسر ضلعها وبكائها في الليل والنهار...

أجل لم يعرفوا قدرها ومقامها العظيم كما لم يدركوا ليلة القدر، ولا زالوا في ظلال بعيد.

اللهمّ عرّفنا نفسك ورسولك وحججك، وحجّة الحجج قدوة الأولياء، فاطمة الزهراء عليها السلام.

الشهادات الأربع في الأذان والإقامة[1]

ما لي ولنقد وجرح بعض هواة الأحزاب (هداهم الله سبحانه) في ما كتبته[2] من قبل، وألقيته في محاضرات إسلامية في المحافل العامّة حول الشهادة الرابعة، ورجحانها في الأذان والإقامة عقلاً لا بقصد الجزئيّة، فقالوا : إنّها بدعة جديدة كالشهادة الثالثة، التي مرّت عليها أكثر من ألف سنة، والتي لا يزال صداها يدوّي في العالم رغم أُنوف الخصماء والأعداء والمنكرين.

أجل، مقصودي من هذه المقالة المختصرة والكلمة المستعجلة، إنّما هو توضيح الأمر لإخواني المؤمنين ـ أعزّهم الله في الدارين ـ من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام أوّلاً، ثمّ تبصرة لمن أراد أن يعرف الحقيقة، كي لا يلتبس عليه الحقّ بالباطل، من خلال الشائعات الحزبيّة، أو جهل المغرضين، أو خصومة المعاندين،

---

(١) طبع في صحيفة صوت الكاظمين سنة ١٤٢٣ هـ ق.

(٢) راجع الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطميّة، في المجلّد السادس من (رسالات إسلاميّة)، مطبوع.

أو إنكار الشياطين، أو أيّ سبب آخر، والله العاصم والمعين.

فأقول مقدّمةً: ذكر المحقّق الكبير سيّدنا اليزدي ﷺ في كتابه القيّم (العروة الوثقى) أنّه: لا إشكال في تأكّد رجحان الأذان والإقامة في الفرائض اليوميّة، أداءً وقضاء، جماعةً وفرادى، حضراً وسفراً، للرجال والنساء، وذهب بعض العلماء إلى وجوبهما... والأقوى استحباب الأذان مطلقاً والأحوط عدم ترك الإقامة للرجال في غير موارد السقوط.

قال صاحب المدارك ﷺ: أجمع العلماء كافّة على مشروعيّة الأذان والإقامة للصلوات الخمس.

وفي الحدائق الناضرة قال المحقّق البحراني ﷺ: لا ريب ولا إشكال في رجحان الأذان والإقامة في الصلوات الخمس المفروضة أداء وقضاء لجملة المصلّين ذكوراً وإناثاً، فرادى وجماعة.

وفي المستند: «لا ريب في مشروعيّتهما ومطلوبيّتهما لكلّ من الفرائض الخمس اليوميّة ومنها الجمعة، إلّا فيما يأتي الكلام فيه للرجال والنساء فرادى وجماعة أداء وقضاء حضراً وسفراً، بل هي إجماع من المسلمين بل ضروري الدين».

فمشروعيّة الأذان والإقامة ممّا عليه إجماع أهل القبلة، كما يدلّ عليه النصوص الكثيرة، ثمّ المحكي عن المشهور، بل الأشهر استحباب الأذان والإقامة مطلقاً، إلّا أنّه عن كتاب الجمل وشرحه، والمقنعة، والنهاية، والمبسوط، والوسيلة، والمهذّب، وكتاب أحكام النساء للمفيد: إنّهما واجبان على الرجال في الجماعة. وعن القاضي نسبته إلى الأكثر، وعن الغنية والكافي والإصباح: إطلاق

وجوبهما في الجماعة من دون تقييد بكونه على الرجال. وعن ابن أبي عقيل وابن الجنيد القديمين: وجوب الإقامة في الصلوات مطلقاً، وخصّ الوجوب بعضهم بصلاة المغرب والصبح، وبعضهم بصلاة الجماعة وجعلهما شرطاً في صحّتها، وبعضهم جعلهما شرطاً في حصول ثواب الجماعة، والأقوى عندي استحباب الأذان والإقامة مطلقاً، استحباباً مؤكّداً، كما عليه النصوص الكثيرة.

ثمّ الأذان قسمان: أذان الإعلام والإعلان في أوّل الوقت، وأذان الصلاة متّصل بها، وإن كان في آخر الوقت، ويشترط في أذان الصلاة كالإقامة قصد القربة فإنّهما من الأُمور العباديّة، بخلاف أذان الإعلام، فإنّه لا يعتبر فيه، لحصول الغرض بفعله مطلقاً.

وفصول الأذان ثمانية عشر: (الله أكبر) أربع مرّات، ثمّ الشهادة الأُولى (أشهد أن لا إله إلّا الله)، والشهادة الثانية (أشهد أنّ محمّداً رسول الله) و (حيّ على الصلاة) و (حيّ على الفلاح) و (حيّ على خير العمل) و (الله أكبر) و (لا إله إلّا الله) كلّ واحد مرّتان، وفصول الإقامة سبعة عشر: (الله أكبر) في أوّلها مرّتان، ويزيد بعد (حيّ على خير العمل) (قد قامت الصلاة) مرّتين، وينقص من (لا إله إلّا الله) في آخرها مرّة. ويستحبّ الصلاة على محمّد وآله عند ذكر اسمه، وأمّا الشهادة الثالثة (أشهد أنّ عليّاً وليّ الله) أي الشهادة بالولاية وإمرة المؤمنين لعليّ عليه السلام، فليست جزءاً منهما[1].

قال سيّدنا الحكيم ﷺ في مستمسكه بعد بيان فصول الأذان والإقامة:

(١) المستمسك ٥: ٥٤٤.

بلا خلاف ولا إشكال، قال في محكيّ الفقيه بعد ذكر حديث الحضرمي والأسدي: ذا هو الأذان الصحيح لا يزاد فيه ولا ينقص منه...

وقال الشيخ الطوسي عليه الرحمة في المبسوط: وأمّا قول: (أشهد أنّ عليّاً أمير المؤمنين وآل محمّد خير البريّة) على ما ورد في شواذّ الأخبار، فليس معمول عليه في الأذان، ولو فعله الإنسان لم يأثم به غير أنّه ليس من فضيلة الأذان، ولا كمال فصوله.

ثمّ قال السيّد الحكيم عليه الرحمة: والظاهر من المبسوط إرادة نفي المشروعيّة بالخصوص، ولعلّه أيضاً مراد غيره. لكن هذا المقدار لا يمنع من جريان قاعدة التسامح على تقدير تماميّتها في نفسها، ومجرّد الشهادة بكذب الراوي لا يمنع من احتمال صدق الموجب لاحتمال المطلوبيّة، كما أنّه لا بأس بالإتيان به ـ أي قول الشهادة الثالثة ـ بقصد الاستحباب المطلق، لما في خبر الاحتجاج: (إذا قال) أحدكم: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، فليقل: عليّ أمير المؤمنين، بل ذلك في هذه الأعصار معدود من شعائر الإيمان، ورمز إلى التشيّع، فيكون من هذه الجهة راجحاً شرعاً، بل قد يكون واجباً، لكن لا بعنوان الجزئيّة من الأذان. ومن ذلك يظهر وجه ما في البحار، من أنّه لا يبعد كون الشهادة بالولاية من الأجزاء المستحبّة للأذان، لشهادة الشيخ والعلّامة والشهيد وغيرهم بورود الأخبار بها، وأيّد ذلك بخبر القاسم بن معاوية المروي عن احتجاج الطبرسي عن الصادق عليه السلام، وما في الجواهر من أنّه كما ترى. غير ظاهر[1]. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

(١) المستمسك ٥ : ٥٤٥.

ولزيادة البصيرة والمعرفة أذكر ما جاء في كتاب (القطرة) لآية الله السيّد أحمد المستنبط قدس سره[1]: ثمّ إنّي أختم هذا الباب (الباب الثامن) بذكر تشهّد الصلاة والإقامة مع ما ورد في خبر القاسم بن معاوية المروي عن احتجاج الطبرسي عن أبي عبد الله عليه السلام: (إذا قال أحدكم لا إله إلّا الله محمّد رسول الله فليقل عليّ أمير المؤمنين وليّ الله) غافلاً عن كونها جزءاً من الصلاة استحباباً على ما روي عن الصادق عليه السلام، وإنّما أُورد الرواية لندرة وجودها وشرافة مضمونها، وكثرة فوائدها في زماننا هذا لمن تدبّر فيها، حتّى أنّ العلّامة النوري قدس سره غفل عنها فلم ينقلها في المستدرك، والرواية مذكروة في رسالة معروفة بفقه المجلسي قدس سره مطبوعة في صفحة (٢٩) ما هذا لفظه: ويستحبّ أن يزاد في التشهّد ما نقله أبو بصير عن الصادق عليه السلام وهو: (بسم الله وبالله والحمد لله وخير الأسماء كلّها لله أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، وأشهد أنّ ربّي نعم الربّ وأنّ محمّداً نعم الرسول، وأنّ عليّاً نعم الوصيّ ونعم الإمام اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وتقبّل شفاعته في أُمّته وارفع درجته، الحمد لله ربّ العالمين).

وأيضاً: لقد سأل بعض العلماء من أبناء العامّة سماحة العلّامة الكبير المحقّق الميرزا أبو الحسن الشعراني قدس سره عن الشهادة الثالثة في الأذان فأجاب سماحته قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم: الإقرار بولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب

(١) القطرة من بحار مناقب النبيّ والعترة ١ : ٣٦٨.

عليه السلام والشهادة بها جزء الإيمان وجائز في الأذان، ولا خلاف في ذلك بين المسلمين على اختلاف فرقهم. والدليل على أنّه جزء من الإيمان أحاديث كثيرة، منها: ما رواه الترمذي وكتابه أحد الصحاح الستّة عن أُمّ سلمة: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يحبّ عليّاً منافق، ولا يبغضه مؤمن» ـ ولا يخفى أنّ كان تدلّ على الاستمرار يلاة ـ فمن أبغضه ليس بمؤمن، ومن أحبّه مؤمن، وهذا معنى كون ولايته جزء من الإيمان، وكان أحبّ الخلق إلى الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لحديث الطير المعروف بين المسلمين، وأمّا كونه جائزاً بين الأذان فلأنّه كلمة حقّ وقول مشروع، واتّفق الفقهاء الأربعة ـ المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي ـ على جواز التكلّم بكلام غير كثير لا يخلّ بالموالاة بين فصول الأذان إلّا أنّ أحمد بن حنبل لم يجوّز التكلّم بكلام غير مشروع كالكذب والغيبة، وأبطل الأذان به. ولم يبطل به الأذان سائر الفقهاء، وكتبهم موجودة وأقوالهم مشهورة وهذا مصرّح به في الصفحة ٢٢٨ من الجزء الأوّل من كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة).

أمّا من تركه فإن كان عن عنادٍ وبغض فهو خارج عن الإيمان، ومن تركه لأنّه ليس جزء من أجزاء الأذان فلا بأس لأنّ الشهادة بالولاية بقصد أنّها جزء من الأذان، وهذا واضح معروف منهم، وإنّما جعله الغلاة والمفوّضة جزءاً ونحن منهم براء، وإنّما يؤتى بها في بلاد الشيعة تبرّكاً وحرصاً على إظهار محبّتهم لعليّ عليه السلام مع علمهم بأنّها ليست جزءاً من الأذان كما يصلّون على النبيّ بعد ذكر اسمه في الأذان وغيره امتثالاً للأمر به في الكتاب الكريم، ولا يخالف عملهم هذا فتوى أحد من الفقهاء الأربعة...

وذهب سماحة العلّامة آية الله الشيخ حسن زادة الآملي في كتابه (فصّ

حكمة عصمتيّه في كلمة فاطميّة)[1]: بعد إثبات عصمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام بالأدلّة العقليّة والنقليّة إلى جواز الشهادة الرابعة قائلاً: وإذا دريت أنّ بقيّة النبوّة وعقيلة الرسالة ووديعة المصطفى وزوجة وليّ الله وكلمة الله التامّة فاطمة عليها السلام ذات عصمة، فلا بأس بأن تشهد في فصول الأذان والإقامة بعصمتها وتقول مثلاً: (أشهد أنّ فاطمة بنت رسول الله عصمة الله الكبرى) أو نحوها.

زبدة المخاض:

إنّ الأذان والإقامة في الشريعة الإسلاميّة بمنزلة المحطّة الإذاعيّة والأبواق العالميّة لإعلان العقائد، فإنّ الأذان شعار المسلم في العالم ليعلن عن مبادئه ودينه وشريعته السمحاء، فإنّه بعد التكبيرات، يشهد بالتوحيد والوحدانيّة لله (أشهد أن لا إله إلّا الله) ليعلن هاتفاً صارخاً بنداء الموحّدين، فيرنّ صداه الملوكتي في الآفاق، فإنّه لا يشرك بالله سبحانه في عبادته، ولا يكون من المغضوب عليهم كاليهود والقائلين بأنّ عزير بن الله، ولا لمقولة الضالّين من النصارى القائلين بالأقانيم الثلاثة، ولا من المضلّين من المجوس القائلين بالثنويّة وإله النور وإله الظلمة، ولا غيرهم من الملحدين والمشركين والشيوعيّين.

ثمّ يشهد برسالة خاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله، ليعلن أنّه من المسلمين إلّا أنّهم افترقوا بعد رسول الله إلى ثلاث وسبعين فرقة، فأضافت الإماميّة الشهادة الثالثة بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام وأولاده المعصومين الأئمة الطاهرين عليهم السلام، ليعلن

---

(١) الصفحة ١٥٢.

المؤمن للعالم بإيمانه الراسخ وحمله الولاية والمودّة لذوي القربى، العترة الهادية، عدل القرآن الكريم وشريكه.

وفي عصرنا هذا من الواضح أنّ الشيعة ـ باعتبار الفرق الإسلاميّة ـ طوائف ومذاهب:

فمنهم: الزيديّة، القائلون بإمامة زيد بن عليّ بن الحسين بعد أبيه.

ومنهم: الاسماعيليّة، القائلون بإمامة إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام.

ومنهم: الواقفيّة.

ومنهم: الغلاة، وهم أكثر من ثلاثمائة فرقة.

وغيرهم، فكلّ هؤلاء يقولون بأنّ الخلافة بلا فصل لرسول الله صلى الله عليه وآله إنّما هي لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام كما تقول بذلك الإماميّة الاثني عشريّة أيضاً، فلا بدّ لمن كان مؤمناً بهم أن يمتاز عن غيرهم من فرق الشيعة، ولا يتمّ ذلك إلّا بشعار خاصّ، يعلنه في أذانه وإقامته للصلاة في كلّ يوم وفي أوقاتها الخاصّة، وليس ذلك الشعار الذي يمتاز به الشيعي الإمامي الاثنا عشري عن غيره إلّا الإقرار والشهادة بعصمة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنّ الأئمة الأبرار عليهم السلام حجج الله على الخلق، وإنّ فاطمة الزهراء المعصومة حجّة الله على الحجج ـ كما في الخبر العسكري ـ فلا بدّ من ذكر فاطمة عليها السلام كثيراً، ولا سيّما ونحن نعيش عصر قرب الظهور إن شاء الله تعالى، وإنّ الإمام المهدي عليه السلام من آل محمّد عليهم السلام إنّما هو من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام، فعصرنا هذا عصر الزهراء عليها السلام، ومثل الشهادة الرابعة حينئذٍ تكون من مقدّمات الظهور إن شاء الله تعالى، وتوطئة لدولة الإمام المهدي عليه السلام، فمن الراجع عقلاً أن نقولها في الأذان والإقامة، إلّا أنّه لا بقصد

الجزئيّة، بل أمرها كأمر الشهادة الثالثة حذو القُذّة بالقُذّة، كما أنّ أمير المؤمنين كان كفواً لفاطمة الزهراء عليها السلام فإنّهما ككفّتي الميزان، فما أروع الأذان الذي يذكر فيه الصنوان والمتكافئان معاً عليهما السلام، ثمّ يجوز أن تلحق الشهادة الرابعة بالثالثة، فيقول في ثانيتها أو الأُولى (أشهد أنّ عليّاً وأولاده المعصومين حجج الله وأنّ فاطمة الزهراء عصمة الله) وبهذه الزيادة يتذكّر المؤذّن والمقيم أنّ الشهادة الثالثة كانت زائدة في الأذان والإقامة، فلا يقصد بها الجزئيّة حينئذٍ، وهذا بنظري ما يوافق الاحتياط أيضاً، فتدبّر.

ومن المؤمنين من يقول: الشهادة الرابعة براءةً من الضالّين المضلّين، فإنّ البعض ممّن قصّر في معرفة المعصومين عليهم السلام شكّك في عصمة الزهراء، مدّعياً أنّها امرأة عاديّة، وأنكر ظلاماتها وما جرى عليها بعد رحلة أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله من الظلم والجور.

فمن يقول بخلافة الأئمة الاثنى عشر وأنّه كلّهم من قريش كما نصّ عليهم نبيّ الإسلام بنصب من الله العلّام وعصمهم بعصمة ذاتيّة وكلّية، وكذلك أُمّهم حليلة أمير المؤمنين عليه السلام فاطمة الزهراء، فإنّ الله قد عصمها بعصمة ذاتيّة وكلّية، فجمعت بين العصمتين: عصمة النبوّة، وعصمة الإمامة، فكانت بنت النبيّ المصطفى وزوجة الوصيّ المرتضى وأُمّ الأئمة النجباء عليهم السلام، فعصمتها هي الجامع والدالّ على الإقرار بإمامتهم وعددهم الاثنى عشري، وبهذا يكون شعاراً ولائيّاً يرشدنا إلى الولاية العظمى، والإمامة الثابتة الكبرى.

وأخيراً: فقد استفتي مكتب سماحة آية الله العارف المحقّق الشيخ بهجت دام ظلّه عن قول الشهادة الرابعة في الأذان والإقامة، فأجاب بعدم البأس فيه. والحمد لله أوّلاً وآخراً.

فاطمة الزهراء عليها السلام

أُسوة وقدوة

من القضايا التي تبحث في (علم النفس) المعاصر، كما أنّها ذات أهمية بالغة في الثقافة الإسلامية وقاموس الإسلام، مسألة (القدوة والأُسوة)، فإنّ الإنسان منذ نعومة أظفاره من فطرته وغريزته أنّه يبحث عن أُسوة يقتدي به في أقواله وأفعاله، أي من طبيعته الأوّلية ومن ذاتياته الفطريّة أنّه يتشبّه بشخص آخر بعد ميله القلبي نحوه، فإنّه إذا أحبّه وتعلّق به ينطبع بطابعه، وتظهر على سلوكه وحركاته وسكناته آثار وأفعال حبيبه الذي أخذه قدوة وأُسوة في حياته.

فالطفل في أيام صباه، ثمّ في سنّ المراهقة وطليعة الشباب يقتدي بمن يراه قدوة، فيتأثّر بطباعه وأخلاقه وسلوكه، فمن ضروريّات الحياة (الأُسوة) فيها، إلّا أنّه مَن المقتدى؟ ومَن المتأسّى به؟ فمن هو القائد؟

ذهب علماء النفس كما هو الواقع أنّ الإنسان ـ أعمّ من الذكور والاناث ـ يقتدي أوّلاً بأُمّه، فإنّ الأُمّ لها دور فعّال في حياة الشخص من جهة الاقتداء والتأسّي. ثمّ يقتدي بأبيه أو إخوته وأخواته، أي من يعيش معهم في نطاق الأُسرة والعائلة. ثمّ يأتي دور الأصدقاء، حتّى يعرف المرء بخليله، وقل من تصاحب حتّى أقول من أنت؟ فإذا كانت علقة الصداقة والمحبّة بين اثنين، فإنّ الصديق

يسلك مسلك صديقه، ويقتدي به. ثمّ المصداق الثالث للتأسّي والاقتداء هو المعلّم والمربّي، حتّى في بعض الموارد يتأثّر الطالب بأُستاذه، فيعرف من خلال حركاته أنّه من تلامذة الأُستاذ الفلاني، وهذا ما يحدث في الحوزات العلمية كثيراً، وكذلك في الجامعات الأكاديميّة، ثمّ المصداق الآخر لاقتداء الشباب يتمثّل بطبقة الرياضيين كلاعب كرة القدم، وما يعبّر عنه بالفنّانين من النجوم السينمائية، وهذا ما يحدث عند البنات غالباً، ثمّ السياسيين لمن كان يميل إلى السياسة.

هذه مجموعة من يقتدى بهم في حياتنا المعاصرة في كلّ العالم وبصورة عامّة وطبيعية، ويودّ الإنسان أن يكون قائده وأُسوته يمتاز بخصائص تفرزه عن الآخرين، وتعطي طابع الحقّانية في كونه أُسوة له، فيحبّ أن يكون أُسوته أكمل من غيره، كما يكون أعلم، فإذا كانت الأُمّ تحمل شهادة الماجستير فإنّ الولد الذي يقتدي بها يودّ أن يحمل شهادة الدكتوراه، كما يودّ أن يكون أُسوته باختياره، فمتى ما أراده يكون عنده حاضراً ليستشيره ويقتدي به في سيرته، ويودّ أن يكون جامعاً للكمال والجمال، ومثل هذه الصفات لا تجتمع في مَن ذكر من مصاديق القدوة إلّا في المعصومين من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فهم أكمل الناس وأعلمهم وأجمعهم في صفات الجمال والكمال، فلا يضاهيهم أحد من الناس في عصرهم، فهم الحجّة على الخلق، وقد أمرنا الله أن نأخذهم أُسوة وقدوة:

﴿ **أُولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾[1].

﴿ **لقد كان لكم فيهم أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله** ﴾[2].

(١) الأنعام: ٩٠.

(٢) الممتحنة: ٦.

ونحن المسلمين أُسوتنا رسول الله صلى الله عليه وآله كما أمرنا الله بذلك:

﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة** ﴾[1].

ثمّ من بعد الرسول الأعظم أُسوتنا وقدوتنا من خلّفهما الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، أعني الثقلين: كتاب الله وعترة النبيّ المختار عليهم السلام، كما ورد في حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ فإنّ رسول الرحمة والإسلام لم يترك الناس سدى من بعده، بل خلّف فيهم الثقلين كتاب الله وعترته، ما إن تمسّكنا بهم لن نضلّ أبداً، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض.

ثمّ نعتقد بحياة القرآن الكريم:

﴿ **يا أيّها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾[2].

كما نعتقد بحياة الأئمة الأطهار وأُمّهم فاطمة الزهراء عليهم السلام، فإنّهم أحياء عند ربّهم يرزقون، شهداء على الخلق وعلى هذه الأُمّة، يرون أعمالهم.

ثمّ كما أنّ الرسول والأمير عليهما السلام أبوا هذه الأُمّة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أنا وعليّ أبوا هذه الأُمّة)، فإنّ فاطمة الزهراء كذلك أُمّهم، كما هي أُمّ أبيها، فهي قدوة وأُسوة كأبيها وبعلها وبنيها، فكلّهم نور واحد في طريق الهدى، وفي مقام التأسّي والاقتداء.

إنّ فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها سلام الله أبد الآبدين هي أُمّ المؤمنين والمؤمنات على طول التاريخ البشري، فهي أُمّ الأئمة النجباء عليهم السلام، كما هي أُمّ شيعتهم الكرام، أُمّهم وقدوتهم في عالم المعنى والوجود والطينة.

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) الأنفال: ٢٤.

فالزهراء عليها السلام أُسوة وقدوة، إلّا أن من يبغي الاقتداء بها تارة يتبلور ذلك عنده بقراءة سيرتها ومطالعة حياتها، فيتشبّه ـ الرجل ـ أو تتشبّه ـ المرأة ـ بها عليها سلام الله، إلّا أنّه ربما يصعب ـ كما هو الحال ـ انطباق عصرنا الحاضر بما فيه من التطوّر التكنولوجي والصناعي على زمانها، فيعيش الحالة التضادّية أو الانعزاليّة والانفرادية، وتارةً يقتدي بها في أحاديثها وأقوالها الشريفة، ولكن يأتي الإشكال السابق مرّةً أُخرى، فمن أقوالها: «خير النساء أن لا ترى الرجال ولا يراها الرجال»، وكيف ينطبق هذا على عصرنا الحاضر؟!

نعم، يبقى التأسّي بها عليها السلام من حيث العلقة والارتباط الروحي والوجودي والمعنوي، فإنّها ـ روحي فداها ـ أُمّي في الوجود والمعنى والروح، والأُمّ بالمعنى الأوّل والثاني إنّما هي من (الأُمّ المنفعلة) أي نحن نذهب إليها فنأخذ من سيرتها أو أقوالها، ولكن بالمعنى الثالث من (الأُمّ الفعّالة)، فهي التي تبارينا وتحفظنا وترعانا بعينها وحضورها وحياتها، فتراعينا بإمداداها الغيبي المستمدّ من الله سبحانه وأنفاسها القدسيّة، وإذا كنّا لا نحسّ بذلك في حياتنا الفعليّة، فإنّ السبب هو أنّه أخرجنا يدنا من يدها، فضعنا وتهنا وانحرفنا وسقطنا عند الانزلاق، كما يضيع الطفل ويتيه وينزلق ويسقط عندما يفارق أُمّه، أو يريد أن يستقلّ عنها، فإذا كانت يدي بيد أُمّي فإنّي لا أضيع في حياتي المعاصرة، ومتى ما تعثّرت رجلاي فأهوى السقوط، فإنّ أُمّي ترفعني وتحفظني من العثرة والسقوط والهبوط، فالعمدة أن نحكّم الأواصر والعلقة الوجوديّة بيننا وبين أُمّنا الزهراء عليها السلام، بأن نكون فاطميين في المعتقد والسلوك والمعنى والوجود والروح.

ثمّ الانتساب نسباً إلى فاطمة الزهراء عليها السلام وإن كان عند المشهور من فقهائنا الأعلام من جهة الأب، إلّا أنّ ذلك باعتبار الأحكام الفقهيّة من أخذ

الخمس أو حرمة الصدقة عليهم، وإلّا فمن جهة الشرافة والأُمومة والتحريم لا فرق بين ذرّية الزهراء عليها السلام ذكوراً وإناثاً، فكلّهم من طرف الأب أو الأُم ينتسبون إليها، أضف إلى ذلك الانتساب السببي من جهة المصاهرة أو الرضاع، وحينئذٍ باعتبار (حساب الاحتمالات) المعروفة في علم الرياضيات والأُسس المنطقيّة للاستقراء نرى أنّ أكثر شيعة العراق وإيران وحوالهيما ممّن ينتسبون إلى بنت رسول الله فاطمة الزهراء عليها السلام، إمّا سبباً وإمّا نسباً من جهة أجدادهم الماضين.

فإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام قبل أربعة عشر قرناً، وكان كلّ جيل من الأجيال يقدّر بثلاثين عام، فيكون بيننا وبينها ٤٦ جيلاً تقريباً، وإذا كان المولود من فاطمة الزهراء نصفه ذكوراً ونصفه اناثاً ـ كما كان بوجود الحسنين والزينبين عليهم السلام ـ فإنّه في النسل الخامس يلزم أن يكون السيّد الأبي نفرين والباقي ٣٠ نفراً من طرف الأُم، ومع حساب الاحتمالات يلزم أن يكون في عصرنا هذا برقم يتكوّن من تسعة أرقام تقريباً، أي بمقدار سكّان الأرض في الوقت الحاضر تقريباً، فتدبّر.

وتبقى فاطمة الزهراء عليها السلام أُسوة وقدوة لكلّ البشريّة، لا سيّما لشيعتها الكرام، بكلّ ما للأُسوة والقدوة من معاني ومصاديق، فهي الأُم معنىً ووجوداً وجسداً وطينة، وهي المعلّمة والمربّية، وهي الصدّيقة الصادقة المصدّقة، وهي نجم الكون الزاهر وسرّ الوجود الباهر.

من وحي الزيارة الفاطميّة

لقد ثبت بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة، ومن خلال الأدلّة العقليّة والنقليّة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أنّ صفوة الخلائق وزبدة عالم الإمكان وسرّ الوجود ونقطة الانطلاق في عالمي الأمر والخلق هم الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام فهم كلّ الوجود الخلقي ووجود الكلّ الإمكاني، هم فاطمة الزهراء وأبوها وبعلها وبنوها الأئمة الأحد عشر عليهم صلوات الله وسلامه أبد الآبدين، فقد كرّمهم الله بالشموخ والعظمة والمقامات التي لا تدركها العقول، فلا يقاس بهم أحد من الخلق، كفاهم جلالةً وكمالاً وشموخاً أنّ الله بدأ بهم الخلق كما يختم ـ كما ورد في زيارة الجامعة الكبرى التي تعدّ أساس التشيّع في معرفة الإمام عليه السلام (بكم بدأ الله وبكم يختم) ـ فحباهم ربّهم وصانعهم بمكارم وفضائل لا تعدّ ولا تحصى، وميّزهم في عالمي التكوين والتشريع وفي الدنيا والآخرة بخصائص ودرجات لم يعطَ لغيرهم من المقرّبين. كلّما سبرنا في أعماق منازلهم القدسيّة فإنّا لم نبلغ معشار العشر أي واحد بالمئة كما ورد في الأحاديث الشريفة: «نزّلونا عن الربوبيّة وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا وما تقولونه معشار العشر»، فإنّهم مرآة صفات الله العليا ومظاهر أسمائه الحسنى «لا فرق بينك وبينهم إلّا أنّهم

عبادك فتقها ورتقها بيدك»[1].

ومن مقامهم الرفيع أنّ الخلق كلّه في ضيافتهم، فإنّه بيُمنهم رُزق الورى، وبوجودهم ثبتت الأرض والسماء «بهم يمسك السماء أن تقع على الأرض»، «ولولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها».

ثمّ اختصّ الله شيعتهم ومحبّيهم بضيافة تخصّ بأوليائهم، فقد ورد عنهم عليهم السلام في قول جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تعادوا الأيّام فتعاديكم»، إنّ كلّ يوم من الأُسبوع في عالم التكوين يختصّ بواحد منهم أو ببعضهم منذ أن خلق الله السماوات والأرض، فيزار المعصوم عليه السلام في ذلك اليوم، ويكون الزائر الموالي ضيفه وفي كنفه وحمايته.

فيوم السبت مختصّ بجدّهم رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله فيقول الزائر المؤمن والزائرة المؤمنة بعد ذكر أوصاف النبيّ صلى الله عليه وآله: «يا رسول الله، صلوات الله عليك وعلى آل بيتك الطاهرين، هذا يوم السبت وهو يومك وأنا فيه ضيفك وجارك فأضفني وأجرني فإنّك كريم تحبّ الضيافة ومأمور بالإجارة فأضفني وأحسن ضيافتي وأجرنا وأحسن إجارتنا بمنزلة الله عندك وعند آل بيتك عليهم السلام وبمنزلتهم عنده وبما استودعكم من علمه فإنّه أكرم الأكرمين».

ويوم الأحد باسم أمير المؤمنين عليّ المرتضى وفاطمة الزهراء عليهما السلام ويقول الزائر بعد السلام والصلاة وذكر شمّة من صفات الإمام: «يا مولاي، يا أمير المؤمنين، هذا يوم الأحد وهو يومك وباسمك وأنا ضيفك فيه وجارك

---

(١) في الزيارة الرجبيّة عن مولانا صاحب الأمر عليه السلام في مفاتيح الجنان لشيخنا خاتم المحدّثين الشيخ عبّاس القمّي قدس سره.

فأضفني يا مولاي وأجرني فإنّك كريم تحبّ الضيافة ومأمور بالإجارة فافعل ما رغبت إليك فيه ورجوته منك بمنزلتك وآل بيتك عند الله ومنزلته عندكم وبحقّ ابن عمّك رسول الله صلّى عليه وآله أجمعين».

ويوم الاثنين باسم السبطين الإمامين الحسنين الحسن المجتبى والحسين سيّد الشهداء عليهما السلام فبعد السلام يقول: «يا مولاي يا أبا محمّد، ويا مولاي يا أبا عبد الله، هذا يوم الاثنين وهو يومكما وباسمكما وأنا ضيفكما فأضيفاني وأحسنا ضيافتي فنعم من استضيف به أنتما وأنا فيه من جواركما فأجيراني فإنّكما مأموران بالضيافة والإجارة فصلّى الله عليكما وآلكما الطيّبين».

ويوم الثلاثاء باسم الأئمة الأطهار الإمام السجّاد والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام يقول بعد زيارتهم: «يا مواليّ هذا يومكم وهو يوم الثلاثاء وأنا فيه ضيف لكم ومستجير بكم فأضيفوني وأجيروني بمنزلة الله عندكم وآل بيتكم الطيّبين الطاهرين».

ويوم الأربعاء باسم الأئمّة الأبرار الإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي عليهم السلام فتقول بعد زيارتهم: «أنا مولى لكم مؤمن بسرّكم وجهركم متضيّف بكم في يومكم هذا وهو يوم الأربعاء ومستجير بكم فأضيفوني وأجيروني بآل بيتكم الطيّبين الطاهرين».

ويوم الخميس باسم الإمام الحسن العسكري عليه السلام تقول بعد زيارته: «أنا مولى لك ولآل بيتك وهذا يومك وهو يوم الخميس وأنا ضيفك فيه ومستجير بك فيه فأحسن ضيافتي وإجارتي بحقّ آل بيتك الطيّبين الطاهرين».

ويوم الجمعة باسم مولانا وإمام زماننا صاحب العصر الحجّة المنتظر الإمام الثاني عشر عليه السلام وعجّل الله فرجه الشريف ونقول بعد السلام والصلاة عليه:

«يا مولاي، يا صاحب الزمان، صلوات الله عليك وعلى آل بيتك، هذا يوم الجمعة وهو يومك المتوقّع فيه ظهورك والفرج فيه للمؤمنين على يديك وقتل الكافرين بسيفك، وأنا يا مولاي فيه ضيفك وجارك وأنت يا مولاي كريم من أولاد الكرام ومأمور بالضيافة والإجارة فأضفني وأجرني صلوات الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين».

ثمّ لكلّ ضيف قرىً وكرامةً، وأهل البيت عليهم السلام معدن كلّ خير وإحسان، أهل الجود والسخاء والكرم، لا ينهرون السائل ولا يخيب من يقصدهم، وقد أمرهم الله سبحانه بأن يجيروا من استجار بهم، ويضيفوا من استضافهم، فيقرون الضيف، وقد ورد في الأثر: (أكرم الضيف ولو كان كافراً) فيكرمون الضيف وإن كان كافراً فكيف بمن كان محبّاً وموالياً لهم ومن شيعتهم والمؤتمرين بأوامرهم والمطيعين لهم، فإنّهم عليهم السلام بلا شكّ ولا ريب يضيفونه بأجمل وأكمل الضيافة، ويجيرونه بأحسن الإجارة، إلّا أنّ ضيافة المعصومين عليهم السلام تعني التوفيق والتسديد في الحياة، وتوفيق زيارتهم في الدنيا، والممات على ولايتهم ودينهم، ونيل رأفتهم ودعائهم، وشفاعتهم في الآخرة، والحشر في زمرتهم وفي جوارهم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ أنت وشيعتك جيراني في الجنّة» فضيافة الرسول الأعظم وآله الأطهار عليهم السلام إنّما تعني النمير من علومهم ومعارفهم، فطعامهم العلم والمعرفة، كما ورد في الحديث الشريف في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾[1]، قال الإمام الباقر عليه السلام: «فلينظر إلى علمه ممّن يأخذ» فالطعام في عالم المعنى هو العلم، فقرى الأئمّة لضيوفهم أن يميروهم

(١) عبس: ٢٤.

من علومهم الربّانيّة ويطعموهم من مائدة الله من كتابه الكريم وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويثبّتونهم على ولايتهم، ولا يلقّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم.

ثمّ المقصود من هذه العجالة بيان ما جاء في زيارة مولاتنا وسيّدتنا، حجّة الحجج، بهجة قلب المصطفى، وقرّة عين الرسول الطاهرة البتول، سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، فقد ذكر خاتم المحدّثين شيخنا القمّي قدس سره في كتابه القيّم (مفاتيح الجنان) زيارتين، وهما كما يلي:

الزيارة الأُولى:

«السلام عليكِ يا ممتحنة، امتحنكِ الذي خلقكِ فوجدكِ لما امتحنكِ صابرةً، أنا لكِ مصدّق صابر على ما أتى به أبوك ووصيّه صلوات الله عليهما وأنا أسألكِ إن كنتُ صدّقتكِ إلّا ألحقتني بتصديقي لهما لتسرّ نفسي فاشهدي أنّي ظاهر بولايتك وولاية آل بيتكِ صلوات الله عليهم أجمعين».

الزيارة الثانية:

«السلام عليكِ يا ممتحنة، امتحنكِ الذي خلقكِ قبل أن يخلقكِ وكنتِ لما امتحنكِ به صابرة ونحن لك أولياء مصدّقون ولكلّ ما أتى به أبوكِ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأتى به وصيّه عليه السلام مسلّمون ونحن نسألك اللهمّ إذ كنّا مصدّقين لهم أن تلحقنا بتصديقنا بالدرجة العالية لنبشّر أنفسنا بأنّا قد طهّرنا بولايتهم عليهم السلام».

لا يخفى على ذوي النهى أنّ هذه الزيارة العظيمة التي نزور بها مولاتنا الزهراء عليها السلام في كلّ يوم أحد من الأُسبوع، تعدّ من أعظم الزيارات الفاطميّة المأثورة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فإنّها تضمّ بين كلماتها القدسيّة أنواراً وأسراراً وخزائنَ وكنوزاً من العلوم والمعارف والحقائق... نشير إلى

لمعة من لمعاتها لنهتدي بجذوة من قبساتها، فإنّه يلوح وتبرزُ في هذه الزيارتين عناوين ستّة، يشعّ منها نور العلم والمعرفة، ويفوح منها عطر الولاء والمحبّة وهي كما يلي:

١ ـ الابتلاء والصبر:

«يا ممتحنة، امتحنكِ الذي خلقكِ قبل أن يخلقكِ وكنتِ لما امتحنكِ به صابرة»، «فوجدكِ لما امتحنكِ صابرة».

الاختبار والامتحان والابتلاء من سنن الله تعالى في الحياة، فإنّه سبحانه خلق الموت والحياة ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[1]، وأينما يكون الاختيار يكون الاختيار. فالإنسان في مقام الابتلاء والامتحان خلق مخيّراً، وقد هداه الله النجدين، فإمّا أن يكون شاكراً قولاً وعملاً، وعابداً ومطيعاً لله سبحانه، أو يكفر به وبنعمه وبما أمر ونهى ﴿ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾[2]، ثمّ يظهر من الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة أنّ هذا الاختبار الاختياري كان منذ القديم وفي عوالم الأمر والمجرّدات من الأنوار والأشباح والأرواح وعالم الذرّ، أي في العوالم الملكوتيّة وقبل العالم الناسوتي، أي الدنيا الدنيّة، فإنّ الدنيا ظهور لتلك العوالم، وإتماماً للحجّة، فإنّ لله الحجّة البالغة، والحديث في هذا المجال كثير...

ثمّ اختبر الله مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام وامتحنها قبل أن يخلقها بالخلق الدنيوي، أي امتحنها بالبلاء في عالم الأمر ﴿ أَلا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾[3]، أي في

---

(١) هود: ٧.

(٢) الدهر: ٣.

(٣) الأعراف: ٥٤.

العوالم الملكوتية من الأنوار والأرواح، وفي عالم الميثاق والذرّ، لقد اختبرها الله بالبلايا والابتلاء وما يجري عليها في دار الدنيا وعلى أولادها الأطهار وذرّيّتها الأبرار من المحن والقتل بالسيف والسمّ والسجن والتشريد والنفي والتعذيب والمصائب التي لو صبّت على الأيام لصرن لياليا، كما قالت عليها السلام بعد رحلة أبيها الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله:

صُبّت عَلَيَّ مصائبٌ لو أنّها ... صُبّت على الأيّام صرن لياليا

ثمّ من أحبّه الله ابتلاه ببلاء حسن، وإنّ المؤمن مبتلى، والبلاء للولاء، فأكثرهم ولاءً أكثرهم بلاءً، فمن ابتلي وصبر فقد فاز فوزاً عظيماً، فإنّ الله يوفّي الصابرين أُجورهم بغير حساب، وقد أثبتنا في رسالة (العصمة بنظرة جديدة) أنّ أركان العصمة: العلم والزهد والصبر، فمن علم بعلم الله وزهد في دنياه وصبر على البلايا فإنّه يُعصم من الذنوب والآثام، إمّا بعصمة ذاتيّة كلّيّة مطلقة كما في الأنبياء والأوصياء، أو بعصمة أفعاليّة كما في الأولياء والصالحين والمؤمنين، وأمّا الأربعة عشر المعصومون عليهم السلام فقد فاقوا خلق الله طرّاً في العلم والزهد والصبر، فعصمتهم في أعلى مراتب العصمة، وتجلّت عصمتهم وطهارتهم وقدسيّتهم في أُمّهم فاطمة الزهراء عليها السلام، فإنّها جمعت بين نوري عصمة النبوّة وعصمة الإمامة، فكانت مظهراً تامّاً لعصمة الله الكبرى، وأساس عصمتها بعد الاختبار والاختيار كان على الابتلاء والصبر[1].

(١) ذكرت تفصيل ذلك في (فاطمة الزهراء سرّ الوجود)، و (فاطمة الزهراء ليلة القدر)، و (العصمة بنظرة جديدة)، و (عصمة الحوراء زينب).

٢ ـ الولاء والمحبّة:

«ونحن لكِ أولياء».

الولاء بمعنى الحبّ والنصرة والمتابعة والإطاعة، وقد ثبت في محلّه أنّ روح الدين الإسلامي هو ولاية النبيّ وآله عليهم السلام، فهل الدين إلّا الحبّ لله ولرسوله ولأهل بيته الأطهار عليهم السلام، ثمّ البغض لأعداء الله وأعداء رسوله وآله عليهم السلام، فإنّ أجر الرسالة المحمّديّة إنّما هي مودّة ذوي القربى وآل المصطفى عليهم السلام، أعني فاطمة الزهراء والأئمّة الاثني عشر عليهم السلام خلفاء الرسول الأعظم، وكلّهم من قريش[1].

والمودّة لغةً واصطلاحاً بمعنى الحبّ والإطاعة، فمن أحبّهم وأطاعهم كان معهم في الدنيا والآخرة، فنحن أولياء لفاطمة الزهراء عليها السلام وإنّا من شيعتها إن شاء الله تعالى، فإنّ من كان في مذهبه ومرامه ودينه فاطميّ الهوى كان مسلماً نبويّ العقيدة ولويّ المذهب، أي تابعاً ومطيعاً لنبيّ الله ولوليّ الله عليهما السلام.

ثمّ فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ الوجود قد جمعت بين نوري النبوّة والإمامة، فهي بنت رسول الله وحليلة وليّ الله وأُمّ الأئمّة النجباء، فمن والاها فقد والى الله ورسوله وأولياءه، ومن عاداها فقد عادى الله ورسوله وأولياءه، فاشهدي يا مولاتي إنّا لكِ أولياء ومحبّون وصادقون في الولاء والمحبّة والمودّة، نفدي أنفسنا وكلّ ما نملكه ـ والملك لله ـ دونكم ودون ولايتكم الكبرى وآيتكم العظمى، وما أجمل القتل والشهادة في سبيلكم، فإنّها أحلى من الشّهد إلى الشارب. فنحيى ونموت على حبّكم وولايتكم، وإنّا معكم معكم لا مع عدوّكم

(١) راجع في ذلك صحيح البخاري.

ولا مع غيركم. فإنّ طلب الهداية من غيركم مساوق لإنكاركم، فبكم نتأسّى وبهداكم نقتدي، وعلى ولايتكم نعيش ونموت ونفدي الأرواح.

٣ ـ التصديق :

«أنا لكِ مصدّق»، «نحن لكِ أولياء مصدّقون».

التصديق من الصدق الذي يقابله الكذب، فليس كلّ من يدّعي الولاء والمحبّة يكون صادقاً في دعواه، بل لا بدّ من إثبات ذلك بالجنان واللسان والعمل بالأركان، أي يصدّق دعواه بالقول والعمل في مقام الإطاعة والمتابعة والبيعة، فيشري نفسه وأمواله ابتغاء مرضاة الله، فإنّ الله سبحانه يرضى لرضا فاطمة الزهراء عليها السلام ويغضب لغضبها، فرضا الله في رضاها ورضا أبيها وبعلها وبنيها، وإنّ الموالي المحبّ والشيعي الخالص يثبت تشيّعه وإخلاصه في الولاء والمودّة بالطاعة والعبادة، وبالعلم النافع والعمل الصالح، وإنّ الإنسان لفي خسر إلّا الذين آمنوا بالله ورسوله وملائكته وكتبه وأوصياء نبيّه وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ، وعليّ عليه السلام مع الحقّ والحقّ مع عليّ أينما دار عليّ يدور الحقّ معه، وتواصوا بالصبر على المحن والبلايا والمصائب التي تصبّ عليهم من أعداء الله، ضريبة ولائهم وحبّهم لأولياء الله ولفاطمة الزهراء عليها السلام، فنحن نصدّق فاطمة الزهراء في عصمتها وحجّتها ومنازلها وقربها من الله تعالى، وبولايتها وفدكها وخطبتها وظلاماتها وما جرى عليها بعد رحلة أبيها من ظلم الظالمين وجور الجائرين لعنة الله عليهم أجمعين أبد الآبدين، «اللهمّ العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد وآخر تابعٍ له على ذلك»، فنحن لك أولياء مصدّقون، ولإعدائكِ أعداء الله محاربون، وإنّ منّا من قضى نحبه ومنّا من ينتظر، رزقنا الله الشهادة في سبيلكم سبيل الله، وحشرنا الله في زمرتكم ورزقنا في الدنيا زيارتكم ورأفتكم

ودعاءكم، وفي الآخرة شفاعتكم والحشر في زمرتكم وبجواركم.

٤ ـ التسليم والثبات والاستقامة بكلّ ما جاء به الوحي والولاية ـ أي النبيّ والوصيّ عليهما السلام ـ :

«ولكلّ ما أتى به أبوكِ صلى الله عليه وآله وأتى به وصيّه عليه السلام مسلّمون»، «صابر على ما أتى به أبوكِ ووصيّه صلوات الله عليهما».

فإنّ من الناس من هو مستودع الإيمان ـ والعياذ بالله ـ ومنهم من هو مستقرّ، والعمدة في الإيمان والتصديق هو الثبات عليه، فكم من آمن ثمّ غرّته الدنيا فانقلب على عقبيه ومات كافراً؟!

أليس ارتدّ الناس عملاً بعد رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله عن ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ونصبه في يوم الغدير، فأنكروا الحقّ وخذلوه وخالفوه، ثمّ غرّتهم الدنيا الدنيّة، ففعلوا ما فعلوا بما يندي جبين الإنسانيّة من الفضائح والمخازي والمعاصي والآثام والظلم والجور، فحينئذٍ فلا يكفي أن نقول ربّنا الله جلّ جلاله ونبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله من دون المقاومة والثبات على ذلك، بل لا بدّ من الاستقامة على هذا القول والإيمان سلوكاً وعملاً بإطاعة الله ورسوله، واتّباع خلفائه وأوصيائه الذين نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالحقّ، فإنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية، وكفر ونفاق.

فمن هو إمام زماننا الذي نصبه الله خليفةً لرسوله وعيّنه النبيّ بنصٍّ منه: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ ﴾[1]، فلا بدّ من التسليم المحض للمعصوم عليه السلام حتّى إذا قال الإمام المعصوم عليه السلام نصف الفاكهة

(١) فصّلت : ٣٠.

هذه حلالاً ونصفها الآخر حراماً لأكلنا الحلال منها وتركنا الحرام منها ـ كما ورد في الحديث الشريف ـ.

وهل الإسلام إلّا التسليم لله ولرسوله ولأوصيائه بالحقّ؟ وهل الدين إلّا الثبات والاستقامة على الحقّ ومع الحقّ، فكونوا مع الصادقين إلى يوم الدين، إنّما يوفّي الله الصابرين أجرهم بغير حساب.

٥ ـ اللحوق بالنبوّة والإمامة، وإنّما يتمّ حلقة الوصل بالزهراء عليها السلام :

«ونحن نسألك اللّهم إذ كنّا مصدّقين لهم أن تلحقنا بتصديقنا بالدرجة العالية»، و«وأنا أسألك إن كنت صدّقتك إلّا ألحقتني بتصديقي لهما».

﴿ **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ** ﴾[1]، وإنّ الدعاء مخّ العبادة، ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلَّا لِـيَعْبُدُونِ** ﴾[2].

فإنّا بعد الولاء والمحبّة والمودّة القلبيّة والتصديق العملي والثبات والاستقامة عليه نلحق بالحقّ وأهله بلزومهم واتّباعهم وطاعتهم فإنّ «المتقدّم عليهم مارق، والمتأخّر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق» إلّا أنّ مفتاح كلّ صلاح وفلاح الدعاء، فلا بدّ أن ندعو الله سبحانه أن يوفّقنا للّحوق بهم، كما ورد في الزيارة الفاطميّة، بل في الزيارات والأدعية المأثورة عن رسول الله وعترته الأطهار عليهم السلام، فلا بدّ من الإمداد الغيبي والعون الإلهي لنيل المقامات العالية والدرجات الرفيعة، وإنّما يتمّ ذلك بالدعاء والتوسّل والابتهال والبكاء والإطاعة، والطلب من النبيّ وأهله في واقع الأمر طلب من الله سبحانه، كبيعة النبيّ وإطاعته،

(١) الفرقان : ٧٧.

(٢) الذاريات : ٥٦.

فمن أطاع النبيّ وبايعه أطاع الله وبايعه كما ورد في القرآن الكريم، فنحن نسألك اللهمّ «يا الله» إذ كنّا مصدّقين لرسولك ولأوصيائه الأئمّة الأطهار عليهم السلام قولاً وعملاً، أن تلحقنا بتصديقنا بالدرجة العالية، في جنّة الأسماء الحسنى، وفي جنّةٍ عرضها السماوات والأرض، في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر.

وكما نسألك يا ربّ ذلك، نسأل أُمّتك وعصمتك الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام أيضاً، فإنّ رضاك في رضاها، يغضبك ما يغضبها ويرضيك ما يرضيها، فنسألها أن تلحقنا بإيماننا وتصديقنا بالنبيّ ووصيّه، بأبيها وبعلها وبنيها الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فإنّها حلقة الوصل في عالم الإمكان.

٦ ـ البشارة والفوز والسرور والطهارة :

«لنبشّر أنفسنا بأنّا قد طهرنا بولايتهم عليهم السلام»، «لتسرّ نفسي فاشهدي أنّي طاهر بولايتك وولاية آل بيتك صلوات الله عليهم أجمعين».

من الواضح البيّن أنّ نتيجة الولاء القلبي والتصديق العملي والتسليم السلوكي والثبات والاستقامة واللحوق بالنبوّة والإمامة إيماناً وسلوكاً وعملاً وفي كلّ مجالات الحياة، إنّما هو الفوز بنعيم الدنيا والآخرة، والبشارة والسرور وطهارة النفوس والقلوب، والحشر مع الأبرار والطاهرين عند مليكٍ مقتدر في مقعد صدق، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ثمّ العبادات الجوارحيّة والجوانحيّة باطنها التولّي لأولياء الله، كما أنّ باطن الذنوب والآثام والمعاصي والفواحش هو التولّي لأعداء الله، فما خلق الله الجنّ والإنس إلّا ليعبدون، وحقيقة العبادة الولاء والدعاء، وحقيقة الدعاء الانقطاع إلى الله، فمن الناس من يتقرّب إلى الله بالعبادة خوفاً أو طمعاً أو حبّاً وشكراً، إلّا أنّه لا بدّ من التقوى والإخلاص في العبادة والدعاء، فإنّ العمل الخالص يرفعه الله

ويقبله ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[١]، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[٢]، وقليل من عباد الله من كان مخلصاً وشكوراً، فإنّ الناس كلّهم هلكى إلّا العلماء، والعلماء كلّهم هلكى إلّا العاملون، والعاملون كلّهم هلكى إلّا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، فإنّ الرياء في العمل كدبيب نملة سوداء على صخرةٍ صمّاء في ليلةٍ ظلماء، فمن يحسّ بدبيبها، وكذلك العجب فإنّه يفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل، والعجب قطع النعمة عن المنعم ونسبة ذلك إلى نفسه، فمن يعجب بعمله وعبادته لا يرى أنّ ذلك من فضل الله عليه، بل يغترّ بنفسه ويتطاول على الآخرين، فيبتلى بالكبر والغرور والعجب والرياء حتّى تذهب أعماله سدى أدراج الرياح، فالدعاء والعبادة في معرض الأخطار.

إلّا أنّ الابتلاء والبلاء يخلو من العجب والرياء، بل ربما يتناسب مع عيوبنا ومع ظرفيّتنا، وربما يوجب رشد الإنسان أو رشد المجتمع، كابتلاء يوسف عليه السلام وأولياء الله من الأنبياء والأوصياء والعلماء والصالحين المؤمنين.

ولا يخفى أنّ أعظم البلايا التي أبكت السماء والأرض وحيّرت الملائكة وذوي الألباب هو ما جرى على رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه قال: «ما أُوذي نبيّ بمثل ما أُوذيت»، وكذلك ما جرى على أهل بيته الأطهار، وصيّه المرتضى، وابنته فاطمة الزهراء، وسبطيه وريحانتيه الحسن والحسين عليهما السلام، وما جرى على الأئمّة الأطهار من القتل والتعذيب والنفي والسجن والاضطهاد والحرمان وغصب خلافتهم وإنكار فضائلهم وحقوقهم، كما يشهد التاريخ بذلك.

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) فاطر: ١٠.

فما أعظم مصيبة سيّد الشهداء الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، فقد أبكت ملكوت السماوات «لقد عظمت الرزيّة علينا وعلى جميع أهل الأرض وعلى جميع أهل السماوات»، ثمّ من كان في خطّ سيّد الشهداء ويقتدي بمنهجه وثورته، ويتأسّى بجهاده وشهادته، وبما جرى على أهل بيته من القتل والأسر، فإنّه يتمنّى أن يكون معهم «يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً» ويطلب من ربّه أن يعطيه أفضل ما يعطي مصاباً بمصيبته، عندما يتفاعل مع مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام ومع ابتلائاته، إلّا أنّ شرط العطاء الربّاني هذا إنّما يتمّ لو ابتلينا ببلائهم، فإنّه يوجب القرب لله سبحانه كما يوجب الرشد والكمال، فإنّ باطن هذا البلاء هو الضيافة عند الله، كما يتجلّى هذا المعنى في سجدة (زيارة عاشوراء) فإنّها سجدة القرب والشكر على المصيبة، أي يعدّ ذلك من النعمة عليه، والمنعَم عليه في ضيافة المنعِم.

ثمّ ما جرى على أولاد رسول الله إنّما يجري على أُمّهم فاطمة الزهراء، فابتلائهم ابتلائها، وحزنهم حزنها، ومصيبتهم مصيبتها، فهي أُمّ المصائب الكبرى، وقد اختبرها الله وامتحنها بتلك البلايا فوجدها صابرة محتسبة، فجعلها الحلقة الواصلة بين النبيّ والوصيّ وبين الخلق المؤمن في عالم التكوين، ومن يلحق بهم فإنّه يفوز بجنّة الله ﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[١] جنّة الأسماء الحسنى، ويفوز برضوان الله الأكبر.

ثمّ قد ثبت أنّ حقيقة العبوديّة والسعادة الدنيويّة والأُخرويّة إنّما يتلخّص في التولّي والتبرّي، أي الحبّ والبغض، كما أنّ الولاية حقيقة التوحيد، فإنّ

(١) الفجر: ٣٠.

كلمة (لا إله إلّا الله) حصن الله، ومن دخل حصنه أمن من عذابه، إلّا أنّه بشرطها وشروطها، وإنّ ولاية الأئمّة الأطهار خلفاء الرسول المختار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأولاده الأحد عشر من شروطها، كما ورد ذلك عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام في حديث السلسلة الذهبيّة المعروفة.

وابتلائهم من أعظم العبادات، وتحمّل الابتلاء منهم كان السبب لقرب العالم التكويني إلى الله سبحانه: «بنا عُبد الله، وبنا عُرف الله» ومن أكبر عبادتنا التوجّه إلى تلك الابتلاءات العظيمة، والتفاعل معها فكراً وعقيدة وسلوكاً وعملاً وجهاداً. فإنّ التوجّه إلى الابتلاءات من أهمّ العوامل التي توجب السير إلى الله والفناء فيه.

ولازم هذا الاتجاه والتوجّه هو العلم والمعرفة، فمن جهلهم كيف يتوجّه إليهم وإلى مصائبهم؟ وكيف يتفاعل معها؟ فإنّ بين العلم والجهل تضادّ بيّن، كما بين العقل والجهل ذلك، وإنّ للعقل جنوداً ـ كما في حديث جنود العقل والجهل في الكافي ـ وإنّها جنود الطاعة والعبادة، فإنّ العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، كما أنّها جنود رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً. فإنّ العقل هو الرسول الباطني وهو عضيد الرسول الظاهري، فللّه سبحانه حجّتان: حجّة باطنيّة وهو العقل، وحجّة ظاهريّة وهو النبيّ، والجهل هو الشيطان، وله جنود، وأعوانه وأولياءه.

ثمّ المقصود من خلقة الإنسان تكامله، وأن يكون مظهراً لأسماء الله وصفاته العليا، إلّا أنّه هداه الله النجدين، فإمّا أن يكون من العلّيّين المقرّبين فيتولّى الله أمره ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1] أو يكون من السافلين المبعدين،

(١) البقرة: ٢٥٧.

فيتولّاه إبليس وجنوده ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾[1].

فالإنسان مخيّر بين أن يكون من جنود العقل أو من جنود الجهل، والشيطان يتولّى من يدخل في ميادين الجهل وساحاته، فيسرق قلبه، ويدخل فيه، ويفرّخ ويبيّض ويعشعش حتّى ينظر بأعينهم وينطق بألسنتهم، فيكون نظر وليّ الشيطان ومعاينته نظرة شيطانيّة، ويكون كلامه ومنطقه من كلام إبليس اللعين، ولهذا (من أصغى إلى ناطق فقد عبده) كما ورد في الخبر الشريف.

فإن تكلّم عن الشيطان أو النفس الأمّارة بالسوء أو ممّن اتّخذ إلهه هواه، فإنّه عبد الشيطان والنفس والهوى، وإن تكلّم عن الله فقد عبد الله سبحانه.

ثمّ حقيقة الجهاد الأكبر مع النفس الأمّارة بالسوء، إنّما تتبلور فيما يكون المجاهد في سبيل الله من جنود رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يتمّ النصر في الجهاد الأكبر إلّا أن يتوجّه إلى ابتلاءات رسول الله وأهل بيته، وما جرى على ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام من غصب فدكها وحرق دارها وشهادة محسنها عليه السلام بين الحائط والباب، وما جرى على أمير المؤمنين عليه السلام من غصب الخلافة وقوده إلى المسجد وشهادته في المحراب، ثمّ التوجّه إلى مصيبة سيّد الشهداء التي هي أعظم المصائب، وأنّه لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، فما أعظم المصيبة وما أعظم الرزيّة؟!

«لقد عظمت الرزيّة وجلّت وعظمت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام، وجلّت وعظمت مصيبتك في السماوات على جميع أهل السماوات، فلعن الله أُمّةً أسّست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أُمّة دفعتكم

(١) الأنعام: ١٢١.

عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها، ولعن الله أُمّةً قتلتكم، ولعن الله الممهّدين لهم بالتمكين من قتالكم...»[1].

ثمّ سيّد الشهداء عليه السلام بواقعة الطفّ الأليمة في يوم عاشوراء فضح جنود الجهل والكفر والنفاق، وما كان في يوم السقيفة وما عليه يزيد اللعين وأتباعهم وشيعتهم إلى يوم القيامة، فكلّ من يأتي من بعده إمّا أن يكون في نهجه ودينه الذي هو دين الأنبياء والأوصياء، دين الله الأعظم، أو يكون في معسكر يزيد الذي جسّد الجهل وجنوده والكفر والنفاق والضلال، فإمّا أن يكون مع الحقّ أو يكون مع الباطل، فهو بين ولايتين: ولاية الرحمن وولاية الشيطان، فإمّا شاكراً وإمّا كفوراً... وكلّ هذا يتجلّى في عاشوراء وفي زيارة عاشوراء، وكلّ يوم عاشوراء وكلّ أرض كربلاء، وإذا برز الشرك والكفر كلّه للإيمان والإسلام كلّه في يوم الخندق وغزوة الأحزاب في براز عمرو بن ودّ العامري وأمير المؤمنين عليّ المرتضى عليه السلام، فإنّه برز النفاق كلّه للإيمان كلّه في يوم عاشوراء وفي أرض كربلاء، فإنّ النفاق بعد رحلة النبيّ تفشّى بين المسلمين حتّى آل الأمر إلى تزلزل الإسلام حتّى في ظواهره، ورجوع القوم إلى القهقرى وإحياء النعرات الجاهليّة مرّةً أُخرى، فإذا قالوا في مرض النبيّ صلى الله عليه وآله حينما قال لهم: «ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم فلن تضلّوا بعدي أبداً»: إنّ الرجل ليهجر، وحسبنا كتاب الله، فإنّه بعد خمسين عاماً قالوا:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

يعني أرادوا خرق ظاهر الإسلام أيضاً، وإنكار الوحي والقرآن الكريم،

(١) من زيارة عاشوراء المشهورة، مفاتيح الجنان: قسم الزيارات.

فمقصود الرجل «إنّ الرجل ـ أي النبيّ ـ ليهجر»، وقول يزيد: «لا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل»، واحد، إلّا أنّ الأوّل لظروفه الخاصّة والنفاق المبطّن قال: «حسبنا كتاب الله»، وهذا لتفشّي النفاق وبروز الكفر، قال: «لا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل» وكلا القولين يدلّان على الكفر المبطّن، فتدبّر.

ثمّ قد جمع إبليس وجنوده من الجنّ والإنس قواهم في التاريخ، بكلّ مظاهر الكفر والنفاق، منذ هبوط آدم صفوة الله على الأرض وإلى يوم عاشوراء، فبرزوا جميعاً لحرب خاتم النبيّين وسيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله ولعترته الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فكان من ملكوت عاشوراء وتأويله حضور كلّ الحقّ والحقّ كلّه، والصراع بينه وبين الباطل كلّه وكلّ الباطل، فقتل سيّد الشهداء وأهل بيته الأطهار عليهم السلام لينتصر الدم على السيف، فبكته كلّ العوالم لعظمة المصيبة والرزيّة والابتلاء... فلم يبقَ للدفاع عن الإسلام وحفظه وديمومة حياته، إلّا ثار الله وابن ثاره الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام فإنّه الوتر الموتور والفرد المذخور، ذخيرة الله ورسوله النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله لحفظ الإسلام وبقائه واستقامته «إن كان دين محمّدٍ لم يستقم إلّا بقتلي فيا سيوف خذيني». فكان البراز والنضال في عاشوراء الحسين عليه السلام بين صفنين ومعسكرين: الصنف والمعسكر الرحماني الذي يتجلّى بابن بنت رسول الله وريحانته وسبطه سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، والصنف والمعسكر الشيطاني الذي يتمثّل بيزيد وبني أُميّة والمنافقين آنذاك، فالأوّل من فعل الله سبحانه، والثاني فعل الشيطان، وإنّ الأوّل يستحقّ الولاء والسلام، كما أنّ الثاني يستحقّ اللعن والتبرّي، وكلّ التاريخ البشري منذ آدم إلى يوم القيامة، إمّا أن يكون في معسكر الحقّ فيستحقّ السلام والمحبّة والتولّي، أو يكون في معسكر الباطل فيستحقّ اللعن والبغض والتبرّي،

فإنّ اللعن شعار التبرّي كما أنّ السلام شعار التولّي، ومقدّمة كلّ إيجاب الرفض، كما في كلمة التوحيد (لا إله إلّا الله) فلا بدّ أوّلاً من رفض الآلهة كلّها ثمّ الاعتقاد بالله سبحانه، وكذلك في النبوّة والإمامة، فلا بدّ من رفض من يدّعي النبوّة كذباً كمسيلمة الكذّاب، وكذلك يجب رفض خلفاء الجور أوّلاً، ولعنهم والتبرّي منهم، ثمّ التولّي لأولياء الله وأئمّة الهدى عليهم السلام ـ والاختلاف هذا في الرتبة لا في الزمان ـ فيوم عاشوراء حلقة وصل بين التراث النبويّ والولوي ـ من آدم إلى الخاتم عليهم السلام ـ وبين الأجيال المسلمة إلى يوم القيامة، أجل إنّها حرب بين الحقّ والباطل، ولن ينتهي الصراع العقائدي والرسالي إلى يوم القيامة «يا أبا عبد الله إنّي سلمٌ لمن سالمكم وحربٌ لمن حاربكم إلى يوم القيامة»[1].

واللعن لغةً بمعنى الطرد عن الرحمة الإلهيّة، فإنّ أوّل من طرد وكان رجيماً هو إبليس، وذلك لمّا أبى عن الخضوع لآدم بعد أمر الله بالسجود له، فأبى واستكبر وكان من الكافرين، فلعنه الله وطرده عن رحمته، واللعن من مصاديق الدعاء أيضاً، فهو من الدعاء عليه. والدعاء مخّ العبادة، ومفتاح كلّ صلاح وفلاح، كما أنّه من فلسفة خلقة الإنسان، فإنّ الدعاء إمّا أن يكون له أو عليه، فلمثل وليّ الله يكون الدعاء له، وأمّا لعدوّ الله فإنّ الدعاء يكون عليه، فإنّ المؤمن يتقرّب إلى الله سبحانه بالدعاء مطلقاً، تارةً بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات، وأُخرى بالدعاء على الظالمين والطغاة، ومنه اللعن فقولنا: «اللهمّ العن شمراً» أي أبعده عن رحمتك لما فعل من الظلم والجور في حياته.

ثمّ اللعن في قصّة عاشوراء الحسيني، لا يختصّ بمن حضر كربلاء وحارب

(١) مفاتيح الجنان: زيارة عاشوراء.

سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، بل لأُميّة جميعاً التي أسّست أساس الظلم والجور، ولكلّ أُولئك الذين جاهدوا الحسين وشايعوا وبايعوا وتابعوا على قتله، بل ومن رضى بقتله عملاً، باتّباعه خلفاء الجور وأئمّة الضلال على طول التاريخ الإسلامي من بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى يومنا هذا وغداً ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[1].

ولا يخفى أنّ ما جرى في يوم عاشوراء وفي أرض كربلاء من القتل والأسر والمصائب والبلايا، إنّما هو نتيجة مقدّمتين ـ كما في زيارة عاشوراء الخالدة ـ نستنبط منهما نفاق الأُمّة وغفلتهم فكانوا ﴿ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[2].

الأُولى: لعن الله أُمّةً أسّست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت.

والثانية: ولعن الله أُمّةً دفعتكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها.

والنتيجة: ولعن الله أُمّةً قتلتكم (بل) ولعن الله الممهّدين لهم بالتمكين من قتالكم.

فإنّ خلفاء الجور مهّدوا الطريق منذ اليوم الأوّل لقتل سيّد الشهداء وواقعة الطفّ ويوم كربلاء كما تشير سيّدتنا زينب الكبرى عليها السلام لذلك.

فلا بدّ لكلّ مؤمن رسالي أن يتبرّأ منهم ويلعنهم على مرّ التاريخ، فإنّ اللعن شعار البراءة من أعداء الله، ومن ثمّ يتولّى أولياء الله فيصلّي ويسلّم عليهم، فإنّ السلام والصلوات شعار الولاية لأولياء الله، وهذا الاختلاف الرتبي إنّما يتجلّى بوضوح في (زيارة عاشوراء) فإنّه قُدّم اللعن والتبرّي أوّلاً ثمّ التولّي والسلام

(١) الإسراء: ٧١.

(٢) الفرقان: ٤٤.

ثانياً، ليكون مقدّمة (التحلية) بالفضائل والسجايا الكريمة والسلامة من الفواحش (التخلية) من الرذائل والقبائح والذنوب ـ كما في علم الأخلاق فإنّ مراحل تهذيب النفس ثلاثة: التخلية والتحلية والتجلية ـ.

فعاشوراء الحسيني خلاصة التاريخ الإنساني، وإنّه يتجدّد ويتبلور في كلّ عصر ومصر بما يتناسب مع الزمان والمكان من مظاهر الحزن والآلام وعِظم المصيبة والرزيّة والابتلاء، إلّا أنّ صرخة الجميع وهتافات الكلّ على مرّ التاريخ، فإنّ وجود الكلّ وكلّ الوجود ينادي ويصرخ (يا حسين)...

اللهمّ اشهد أنّا مع سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام عقيدةً وجهاداً، فكراً وسلوكاً، شعوراً وشعاراً، ولاءً وفداءً، نقيم مآتمه ونتفاعل مع مصائبه في مواكبنا، بكلّ مظاهر الحزن والمصيبة في كلّ محرّم وصفر من كلّ عامّ، أجل لقد أجنّنا حبّ الحسين عليه السلام، وإنّ شعارنا مع وليّه والطالب بدمه إمامنا المنتظر الحجّة الثاني عشر عليه السلام (يا لثارات الحسين) يا لثارات أولاد الحسين وأصحابه، يا لثارات أُمّه فاطمة الزهراء الصدّيقة الكبرى الشهيدة الصابرة، وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد عليهم السلام أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتّقين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

وميض من نور الزهراء عليها السلام[1]

لقد أخبرنا الله سبحانه في كتابه الكريم أنّ مقصوده من الخلق وفلسفة الحياة، وسرّ عالم التكوين والهدف من الكائنات والممكنات إنّما هو العبادة ومعرفته سبحانه وتعالى، ومن ثمّ معرفة النفس الإنسانيّة وحقيقة الإنسان الذي من أجله خُلق الخلق ليستخلف ربّ العالمين في أسمائه الحسنى وصفاته العليا ويكون المحور في العالم التكويني والرابط الوجودي بين الربّ والكون.

فالمراد من الحياة مطلق المعرفة والمعرفة المطلقة، بمعرفة النفس والربّ والكون، لتحقّق العبادة التشريعيّة التي تبتني على اختيار الإنسان ويكون حلقة الوصل في العالم الملكي في قوسي النزولي والصعودي بين العوالم الملكوتيّة النوريّة السابقة على الدنيا من العالم الأعلى والعالي والداني[2] كعوالم الأنوار والأرواح والأشباح والذرّ المسمّى بعالم الميثاق وبين العوالم الملكوتيّة اللاحقة

---

(١) اقتباس من بيان شيخنا الأُستاذ آية الله العظمى الشيخ وحيد الخراساني دام ظلّه بمناسبة ذكرى شهادة الصدّيقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وأيّام الفاطميّة الثانية لسنة ١٤٢٤ هـ ق.

(٢) ثمّ الأدنى ومؤنّثه الدنيا كالأصغر والصغرى.

كعوالم القبر والبرزخ ويوم القيامة ونعيم الجنّة أو جحيم النار.

ولا تتمّ هذه المعارف ـ لا سيّما معرفة الله سبحانه ـ إلّا من طريق الوحي والتنزيل، وأنّ مشاعل العقول تخفت أمام كبريائه وعظمته، وما أفكار البشر في ساحة قدسه وذاته وصفاته وأفعاله، إلّا أوهام مردودة «كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم»[١].

والمصباح المنير الذي ينير درب السالكين إلى نور الأنوار و ﴿ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[٢] إنّما ذلك المشكاة القلبي الذي استضاء بنور الوحي بكتابه المنزل عليه.

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[٣].

وأمّا الإنسان الذي لم يكن شيئاً مذكوراً، فخلقه الله ونفخ فيه من روحه ليكون روح العالم باستخلافه أسماء الله وحمله العلم الإلهي، فعلّمه ما لم يعلم، وأعطاه السمع ليصغي إلى آياته الشريفة السمحاء، ومنحه البصر ليرى آيات الحكمة الغرّاء، وخلقه من نطفة أمشاج ليبتليه، ومن ماءٍ مهين ليصل بعبادته ومعرفته ويقينه، ويعلم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين إلى قاب قوسين أو أدنى.

﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾[٤].

ولا يبلغ الإنسان مناه، ولا تتيسّر له عبادته، ولا تتمّ معرفته إلّا بتزكية

(١) بحار الأنوار ٦٦ : ٢٩٣.

(٢) النور : ٣٥.

(٣) إبراهيم : ١.

(٤) المؤمنون : ١٤.

وتعليم من ربّه، وبدين القيّمة النازل من عليٍّ عظيم، بتشريع منه وتبليغٍ من أنبيائه ورسله عليهم السلام، ليدعو الناس إلى التوحيد ويقيموا القسط، ويهدوهم إلى صراط مستقيم.

فالغرض من الخلق وثمرة البعثة إنّما هي العبادة والمعرفة ونيل سعادة الدارين المتبلورة بدين الله الحنيف، وبعثة الأنبياء ونزول الكتب وقد تكاملت الشرائع السماويّة وختمت الرسالات الإلهيّة بخاتم الأنبياء وسيّد المرسلين محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، فإنّه الخاتم لما سبق، والفاتح لما استقبل.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[١] وكمل دين الإسلام المبين بولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والخلفاء من بعده الأئمة الأحد عشر خاتمهم المهدي من آل محمّد عليهم السلام.

﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[٢].

فكان النبيّ الأعظم مدينة العلم وعليّ بابها[٣]، فمن أراد مدينة المعرفة والعلم والعبادة والحكمة فليأتها من بابها، إذ لا طريق للمدينة النبويّة الإلهيّة التي جمعت علوم الأوّلين والآخرين إلّا من هذا الباب العلوي، فإنّه الصراط المستقيم، والنبأ العظيم، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، وباب الله الذي منه يؤتى، والسبب

(١) الروم : ٣٠.

(٢) المائدة : ٣.

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، عيون أخبار الرضا ٢ : ٦٦، والمستدرك على الصحيحين ٣ : ١٢٦.

المتّصل بين الأرض والسماء، وعصمة الله من الخطأ والهوى، فمن أتاه نجى، ومن تخلّف عن إمامته وولايته غرق وهوى.

فسعادة الإنسان والبشريّة جمعاء في المعرفة وعبادة الله من طريق رسالات السماء المتمثّلة بالنبوّة العظمى وديموميّتها إلى يوم القيامة بالإمامة الكبرى.

ثمّ حلقة الوصل لكلّ الأُمّة إلى يوم المعاد بين النبوّة والإمامة ليست إلّا سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام فإنّها جمعت بين نوري النبوّة والإمامة، فهي من صلب رسول الله النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وزوجة وليّ الله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وأُمّ الأئمّة النجباء الأحد عشر عليهم السلام، ومنها المهدي الموعود المنتظر عليه السلام ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. فأصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها.

فكانت فاطمة الزهراء مشكاة أنوار الله من آدم إلى الخاتم، ومن سيّد الوصيّين إلى خاتمهم صلوات الله عليهم أجمعين، وكانت ليلة القدر الذي فطم الخلق عن معرفتها، ولم يعرف قدرها وجهل حقّها.

ولأيّ الأُمور تُدفن ليلاً ... بضعة المصطفى ويُعفى ثراها
بنت من، أُمّ من، حليلة من ... ويلٌ لمن سنّ ظلمها وأذاها

وقد اعترف الموافق والمخالف حتّى أُولئك الذين أخدشوا في الروايات الواردة في فضائل أهل بيت العصمة عليهم السلام أنّ الذي لا ينطق عن الهوى رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله قال في حقّها: «فإنّما هي ـ فاطمة ـ بضعة منّي يُريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها»[١]، وقال صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني»[٢].

(١) و (٢) صحيح البخاري ٤ : ٢١٠.

فكانت فاطمة الزهراء بضعة إنّية المصطفى، وقطعةً مباركةً من أوّل ما خلق، وأفضل من نطق، واسم الله الأعظم في الأسماء الحسنى، والمثل الأعلى في الأمثال العليا، ومن آذاها وأغضبها فقد آذى رسول الله وأغضبه، ومن أغضب رسول الله وآذاه فقد أغضب الله وآذاه، ومن آذى الله ورسوله فعليه لعنة الله والملائكة والناس إلى يوم القيامة، فمن أغضب فاطمة الزهراء وآذاها بعد رحلة أبيها؟!

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً ﴾[٣].

وقد ثبت عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ أنّ الرسول الأعظم قال لفاطمة الزهراء: «إنّ الله يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ»[٤].

وما دلالة هذه المقولة النبويّة إلّا على عصمة الزهراء عليها السلام، لاتحاد الغضب الفاطمي مع الغضب الإلهي مطلقاً، وكذلك الرضا الإلهي مع الرضا الفاطمي على نحو الإطلاق.

فكانت فاطمة موضع سرّ الله، ومشرق أنوار نجوم سماء الولاية والإمامة، ومخزن أسرار كتاب الهداية والسعادة.

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[٥].

(٣) الأحزاب : ٥٧.

(٤) أمالي الطوسي : ٣٢٧، والمستدرك على الصحيحين ٣ : ١٥٤.

(٥) حم : ٤.

ورأى الرسول في ليلة معراجه كتب على باب الجنّة : «فاطمة خيرة الله»[١].

وقال ﷺ : «وابعث على البراق خطوها عند أقصى طرفها، وتبعث فاطمة أمامي»[٢]، فكانت بهجة قلب المصطفى وقرّة عينه، ونوره الذي يسعى بين يديه، يوم ﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾[٣]، «فأوّل شخص يدخل الجنّة فاطمة»[٤]، «زارك آدم ومن دونه من النبيّين»[٥].

و ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾[٦].

ولهذا الرسول الأعظم أعطى الله الكوثر فاطمة الزهراء.

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[٧].

إلّا أنّ هذا الكوثر الإلهي قد كسر ضلعها وغصب حقّها، وأُسقط جنينها شهيداً، و «صارت كالخيال»[٨] وكانت تقول :

«صبّت عليّ مصائب لو أنّها صُبَّت على الأيام صرن لياليا»[٩]

(١) تاريخ بغداد ١ : ٢٧٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٥٣.

(٣) الحديد : ١٢.

(٤) ميزان الاعتدال ٢ : ١٣١.

(٥) تفسير فرات الكوفي : ٤٤٦.

(٦) آل عمران : ١٦٤.

(٧) الكوثر : ١.

(٨) دعائم الإسلام ١٠ : ٣٣٢.

(٩) بحار الأنوار ٧٩ : ١٠٦.

ختامه مسك

وحبّذا أختم كتابي هذا بما أورده العارف بالله المحقّق آية الله الميرزا جواد الملكي التبريزي في كتابه القيّم (المراقبات : ٦١ في أعمال ومراقبات شهر جمادى الآخرة) فقال :

وفي اليوم الثالث منه اتّفق وفاة سيّدة النساء صلوات الله عليها[١]، بل الصحيح أنّه يوم شهادتها فإنّها ـ صلوات الله عليها ـ مضت مقتولة مظلومة مغصوبة (حقّها)، فعلى شيعتها من أهل الوفاء أن يقدّروا هذا اليوم من أيّام الأحزان والمصائب، فإنّ يومها كان ثاني اثنين ليوم رسول الله ﷺ على أهلها، لم يرَ لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بعد وفاة رسول الله ﷺ يوم أشدّ مصيبة وأجلّ رزءاً وأعظم نائبة منه، واشتدّ عليه شأن[٢] هذا اليوم حيث أظهر فيه أمراً عظيماً من المواجد والأحزان وجعل يرثيها، ويندب عليها، ويشتكي

(١) إقبال الأعمال ٣ : ١٦١.

(٢) في الأصل : بيان هذا اليوم.

فراقها[١] ويقول :

نفسي على زفراتها محبوسةٌ ... يا ليتها خرجت مع الزَّفراتِ
لا خير بعدك في الحياة وإنّما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي[٢]

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال أشعاراً مفجعةً من جملتها :

وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ ... دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ
وكيف هنأك العيش من بعد فقدهم ... لعمرك شيء ما إليه سبيلُ
يريد الفتى أن لا يموت خليله ... وليس إلى ما يبتغيه سبيلُ[٣]

ولعمري إنّ هذه الأشعار وما طوينا (عن) ذكره، من شعره ونثره في ذلك أمرٌ عظيم من أمير المؤمنين عليه السلام يبهر العقول ويكشف عن عظم مقامها وفضلها

(١) روى الشيخ المفيد في (أماليه) : ٢٨١، الحديث ٧، والشيخ الطوسي في (أماليه) ١ : ١٠٧ بأسنادهما إلى عليّ بن محمّد الهرمزاري عن الإمام زين العابدين عن أبيه عليهما السلام ـ في حديث ـ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دفن فاطمة عليها السلام ليلاً وعفى موضع قبرها حسب وصيّتها فلمّا نفض يده من تراب القبر، هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خدّيه وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك، وقرّة عينك وزائرتك، والبائتة في الثرى ببقيعك ـ إلى أن قال : ـ

يا رسول الله أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهّد، لا يبرح الحزن من قبلي أو يختار الله لي الدار التي فيها أنت مقيم ... » عنهما البحار ٤٣ : ٢١٠، الحديث ٤٠.

وأورده في دلائل الإمامة : ٤٧؛ بشارة المصطفى : ٣١٨.

(٢) البحار ٤٣ : ٢١٣، الحديث ٤٤ بإسناده إلى الحاكم عن بعض كتب المناقب القديمة؛ عوالم العلوم (عوالم فاطمة عليها السلام) ١١ : ٥٣٠، الحديث ٢.

(٣) البحار ٤٣ : ٢١٦، الحديث ٤٨ عن الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام؛ عوالم العلوم (عوالم فاطمة عليها السلام) ١١ : ٥٣١، الحديث ٢.

عند الله، فإنّ وجده في هذا الأمر مع كونه في الصبر كالجبل الشامخ لا تحرّكه العواصف، ولا يزيله القواصف، ينحدر عنه السيل، ولا يرقى إليه الطير، من أعجب العجائب كيف ولو لم يكن فضيلتها في الدرجة العليا التي يحسن فيها الجزع لم يكن يظهر منه عليه السلام هذا الجزع العظيم.

فكيف كان فلشيعته ـ صلوات الله عليه ـ التأسّي به في إظهار الحزن والكآبة، وإقامة المأتم في يوم وفاتها، وقراءة مصائبها، فإنّها واحدة أبيها صلى الله عليه وآله وحبيبته التي (كان) يعامل معها معاملة لا يعامل مع أحد من الناس.

وروى المخالف والمؤالف قوله فيها : «فاطمة بضعةٌ منّي من آذاها فقد آذاني»[١] وبذلك احتجّت حين وفاتها على الأوّل والثاني بعد أخذ الإقرار منهما

(١) روى هذا الحديث من الفريقين بأسانيد معتبرة وطرق متعدّدة لا يشكّ فيها عاقل، نقتطف منها ما يلي :

روى مسلم في صحيحه ٧ : ١٤١ في كتاب فضائل الصحابة في باب فضائل فاطمة بنت محمّد عليهما الصلاة والسلام بالإسناد إلى المسور بن مخرمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها» وذكره الفخر الرازي في تفسيره، في تفسير آية المودّة (٢٣) في سورة الشورى. وروى الترمذي في سننه ٢ : ٣١٩ بإسناده إلى عبد الله ابن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّما فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما أغضبها». ورواه الحاكم في مستدركه ٣ : ١٥٩؛ وأحمد في مسنده ٤ : ٥. كما ورد هذا الحديث باختلاف يسير في الألفاظ في المصادر التالية :

صحيح البخاري ٧ : ٤٧ في كتاب النكاح، في باب ذبّ الرجل عن ابنته؛ ومسند أحمد ٤ : ٣٢٨، حلية الأولياء ٢ : ٤٠، وغيرها. فمن أراد المزيد فليراجع كتاب «الفضائل الخمسة من الصحاح الستّة» ٣ : ١٨٤، باب في قول النبيّ صلى الله عليه وآله : «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني».

على أنّهما سمعا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت وهي رافعة يديها: «اللهمّ اشهد أنّهما آذياني» وأوصت لعليّ عليه السلام أن يخفي دفنها وقبرها عنهما[١].

ولعمري إنّ هذه الوصيّة منها ـ صلوات الله عليها ـ مجاهدة ونصرة لدين الله الحقّ، أنفع في إثبات مذهب الشيعة، وإبطال مذهب العامّة، من كلّ آية وبرهان كيف واختفاء دفنها وقبرها شيء لا يخفى مدى الدهر، ومتى سئل عن سببه، وظهر أنّ ذلك إنّما صار من جهة وصيّتها، يظهر منه كالشمس في رابعة النهار أنّها مضت ساخطة على الشيخين، ولقيت أباها ومولاها شاكية عنهما، ذلك إنّما يلزم لهما شناعة ليس فوقها شناعة، لا سيّما بملاحظة ما أنزل الله في كتابه العزيز:

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ﴾[٢].

وتأكيد هذا الحكم بقوله:

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾[٣].

ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وليس على وجه الأرض أقرب له من فاطمة سلام الله عليها.

وكيف يشكّ العاقل في أنّ من خان رسول الله في أجر رسالته، لا يليق

(١) راجع علل الشرائع ١: ١٨٥، الحديث ٢، عنه البحار ٤٣: ١ ـ ٢، الحديث ٣١. وقد روى هذا الحديث باختلاف في البحار ٤٣: ١٧١، الحديث ١١ عن كتاب دلائل الإمامة، والصفحة ١٩٧، الحديث ٢٩ عن كتاب سليم بن قيس الهلالي.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) سبأ: ٤٧.

أن يكون مأموناً في خلافته، وأنّ من لم يراعه في قريبه، كيف يراعيه في بعيده؟ ومن ظلمه في ابنته كيف يعدل في أُمّته؟ وهذا الأمر يعرفه العالم والجاهل، والخاصّ والعامّ لا سيّما أنّ فاطمة ـ سلام الله عليها ـ نزلت في شأنها آية التطهير[١] بإجماع الشيعة، وبتصديق جماعة من أعيان مفسّري العامّة وعلمائهم[٢]،

(١) ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ الأحزاب: ٣٣.

(٢) روى مسلم في صحيحه ٧: ١٣٠، في كتاب فضائل الصحابة، في باب فضائل أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله بسنده عن صفيّة بنت شيبة قالت: قالت عائشة: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء علي فأدخله ثمّ قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ورواه الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٧ والبيهقي في السنن ٢: ١٤٩ وابن جرير الطبري في تفسيره ٢٢: ٥ وذكره السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٥، في تفسير آية التطهير (٣٣) في سورة الأحزاب. وذكره الزمخشري في الكشّاف ١: ١٩٣ في تفسير آية المباهلة (١٦) في سورة آل عمران.

وقد روى الترمذي في سننه ٢: ٣١٩ بسنده عن أُمّ سلمة قالت: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جلّل على الحسن والحسين وعليّ وفاطمة كساء ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنّك على خير» ورواه الطبري في تفسيره ٢٢: ٦ وأحمد في مسنده ٦: ٣٠٦ وابن الأثير الجزري في أُسد الغابة ٤: ٢٩ وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ٢: ٢٩٧.

وقد ورد الحديث بألفاظ أُخرى وأسانيد معتبرة فمن أراد التفصيل فليراجع: الدرّ المنثور ٦: ٦٠٣ ـ ٦٠٧. فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ١: ٢٧٠، باب في آية التطهير نزلت في النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين.

فلا يمكن لمن ظلمها، وغصب حقّها التعلّل ـ في إيذائها ـ بوجه صحيح شرعيّ، بعد تصديق محكم الكتاب طهارتها، وإيجاب مودّتها.

يا أهل العالم ابكوا على هذه القطعيّة الفجيعة الفظيعة بالنسبة إلى الرسول الكريم الأكرم والنبيّ الرؤوف الأرحم، في بضعته الطاهرة، وكريمته المطهّرة غصبوا حقّها، وأخذوا نحلتها، ومنعوها من إرث أبيها، ولطموا وجهها، وأسقطوا جنينها، وأكفان رسول الله طريّة، ودعوا بالنار على إحراق بابها الذي طالما وقفت الملائكة المقرّبون عليه لطلب الإذن بالدخول.

وكيف كان فللشيعة أن يعامل معها صلوات الله عليها في هذا اليوم من الزيادة والصلوات ما يرضي الرسول، ويرتضيه ربّ فاطمة البتول ـ سلام الله عليها ـ ويلزمه حقّ التشيّع.

ويوم العشرين منه يوم ولادة فاطمة ـ صلوات الله عليها ـ على رواية الشيخ المفيد ـ رضوان الله عليه ـ قال:

يوم العشرين منه مولد السيّدة الزهراء ـ صلوات الله عليها ـ سنة اثنين من المبعث، وهو يوم شريف يتجدّد فيه سرور المؤمنين، ويستحبّ صيامه والتطوّع فيه بالخيرات والصدقات[1].

أقول:

ويقدّر تعظيم هذا اليوم بمقدار عظمها، فإنّها المعظّمة عند الله جلّ جلاله، وعند الملائكة الأطهار، وأولياء الجبّار، وقد وردت في صحيح الأخبار أنّها سيّدة

(١) إقبال الأعمال ٣ : ١٦٢؛ عنه البحار ٩٨ : ٣٧٥، الحديث ٣.

نساء العالمين، ومريم ـ صلوات الله عليها ـ سيّدة نساء عالمها[1]، فثبت بذلك سيادتها لمريم الصدّيقة بتصديق القرآن العظيم، بل جزم جمع من أعاظم العلماء أنّها أشرف من سائر الأنبياء والمرسلين، ولعمري إنّ هذا لهو الفضل المبين.

ومن جملة ما وردت إلينا بالطريق القطعيّ من فضائلها التي اختصّت بها من جميع نساء العالمين، أنّ لها مصحفاً كبيراً جليلاً جاء به جبرئيل بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وكتبه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو عند أولادها المعصومين عليهم السلام وفيها علم ما كان وما يكون وما هو كائن كما في رواية ثقة الإسلام عن الصادق عليه السلام[2].

(١) روى الشيخ الصدوق في (معاني الأخبار) : ١٠٧، الحديث ١ بالإسناد إلى المفضّل، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام في فاطمة عليها السلام: إنّها سيّدة نساء العالمين، أهي سيّدة نساء عالمها؟ فقال: ذاك لمريم، كانت سيّدة نساء عالمها. وفاطمة سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين». ورواه في دلائل الإمامة : ٤٥٤ وروضة الواعظين : ١٨٠.

(٢) الكافي ١ : ٢٤١، الحديث ٥ بالإسناد إلى أبي عبيدة قال: «سأل أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر، فقال: هو جلد ثور مملوء علماً ـ إلى أن قال: ـ قال: فمصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: فسكت طويلاً ثمّ قال: إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لاتريدون! إنّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيّتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام». عنه البحار ٤٣ : ١٩٤، الحديث ٢٢.

ورواه في بصائر الدرجات : ١٥٣، الحديث ٦ عنهما البحار ٤٣ : ٧٩، الحديث ٦٧.

وقد وردت روايات كثيرة عن مصحف فاطمة، فمن أراد المزيد فليراجع بصائر الدرجات : ١٥٠، الباب ١٤، دلائل الإمامة : ٢٧.

وبالجملة روى المخالف والمؤالف في فضائلها أخباراً يملأ مجلّدات كبيرة لا يحتملها هذا المختصر، وفيما ذكرناه كفاية ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[١] ولو لم يكن من فضائلها إلّا ما وردت من شفاعتها لمحبّيها ومحبّي ذرّيّتها بل ومحبّي محبّيها، لكفى الشيعة في إثبات حقّ تعظيمها، وتعظيم ولادتها، بقدر الوسع والطاقة، والاعتراف بعد ذلك بالقصور، فإنّ بعض الحقوق لا يؤدّى وإن بلغ المجهود غايته.

ومن مهمّات العمل في هذا اليوم زيارتها، والصلوات عليها، ولعن ظالميها[٢] ويختم يومه بما يختم به أمثاله.

(١) ق: ٣٧.

(٢) إقبال الأعمال ٣: ١٦٤؛ عنه البحار ١٠٠: ١٩٩ ـ ٢٠١، الحديث ٢.

المحتويات

محاضرة ليلة القدر الأُولى ٣
محاضرة ليلة القدر الثانية ٢٠
الصراط المستقيم ٢٤
محاضرة ليلة القدر الثالثة ٣٤
في ظلال تفسير وتأويل آية النور ٣٤
تفسير مفردات آية النور ٣٨
التفسير الروائي ٥٢
المشكاة فاطمة الزهراء عليها السلام ٥٩
المحاضرة الرابعة ٦٣
من خواصّ آية النور ٦٤
بلاغة القرآن المجيد ٦٥
السرّ في مشكاتيّة فاطمة الزهراء عليها السلام ٦٦
اللطيفة الأُولى ٦٦
لماذا فاطمة الزهراء عليها السلام مشكاة الأنوار ٦٨

فاطمة الزهراء روح النبيّ صلى الله عليه وآله ٦٩
الإسلام دين العلم والعمل ٧١
أمير المؤمنين عليه السلام جلالة الفقه ٧١
فاطمة الزهراء عليها السلام حُسن الله ٧٢
فاطمة الزهراء عليها السلام أُمّ المحاسن ٧٥
اللطيفة الثانية ٧٦
الاستدلال بسورة القدر على الإمامة ٧٨
ومضة من الاستدلال على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ٧٨
من أوصاف الزهراء عليها السلام ٨٠
الشهادات الأربع في الأذان والإقامة ٨١
فاطمة الزهراء عليها السلام أُسوة وقدوة ٩١
من وحي الزيارة الفاطميّة ٩٦
وميض من نور الزهراء عليها السلام ١١٧
ختامه مسك ١٢٣
المحتويات ١٣١